صاحبها ومحررها
سلامه موسى
المجلد الاول



العدد الرابع
من
السنة السادسه

ابريل ١٩٣٧



سير الحوادث

موسوليني والجامعة المصرية

أعظم حوادث الشهر الماضي هو زيارة موسوليني لطرابلس وافتتاح الطريق الذي يقطع صحراء ليبياء بين مصر وتونس . وهذا الطريق قد مهد للاتومبيلات . ومهما حاولنا أن نحسن الظن فاننا لن نستطيع أن نجد لهذا الطريق أية فائدة سوى الهجوم على مصر أو تونس . ولكن فرنسا دولة صديقة لايطاليا فلا خوف هنالك من ناحيه الهجوم على تونس . فيبقى اذن الهجوم على مصر كالفائدة الوحيدة من تمهيد هذا الطريق .

وطرابلس قطر فقير قليل الغلات يقوم الجمل فيه أحسن قيام بالنقل . فانشاء طريق للاتومبيلات فيه بحيث يصل بين حدود مصر غربا وحدود تونس شرقا لايمكن أن يفسر الا بانه يراد منه النقل الحربي وسرعة الخدمة لحركات الجيش . وقد تنبهت الجرائد الانجليزية الى المغزى من هذا الطريق فحملت الحملة اللائقة على الفاشيين الايطاليين . ولكن جرائدنا ــ لأسباب لايجهلها صحفي ــ سكتت عن هذا الخطر الايطالى الذى يهدد وطننا

وليس شك الآن فى أن موسوليني يصارع الامبراطورية البريطانية وأن عقله يساعده على تعبئة قواته فى حملة على هذه الامبراطورية بحيث تكون مصر الهدف الأول لهذه الحملة . وفى الوقت الذي كان يجب أن تنبهنا فيه الصحف عن هذا الخطر وتطالب الحكومة بالاسراع فى تحصين الحدود الغربية عمدت هذه الصحف الى تخذير الرأى العام وشغلته بقصة مضحكة عن تعليم الدين فى الجامعة واختلاط الجنسين فى التعليم . وكانت هذه القصة من أولها لآخرها من اختراع الجرائد والمجلات .

فقد كانت تبعث بأحد محرريها الى أستاذ فى الأزهر فيتحدث حديثا . ثم يقصد هذا المحرر الى أستاذ فى الجامعة فيتحدث حديثا آخر . وعندئذ يصطدم الأستاذان ويكادان يتشاتمان . والطلبة ينحازون الى هذا الفريق أو ذاك فينشب الشجار وتعطل الدراسة وتنشأ المظاهرات

ويجب على الحكومة وعلى الأمة أن تفكر كثيراً فى هذه الظروف العجيبة التى جعلت بعضا من جرائدنا ومجلاتنا يسكت عن الخطر المحقق من هذا الطريق الذى يهدد سلامتنا من ناحية طرابلس وفى الوقت نفسه يعشى بالوقيعة بين الازهر والجامعة المصرية بأحاديث صحفية لايقصد منها غير استفزاز الطلبة

عقلية موسولينى

فى الوقت الذي تجد فيه ألمانيا تتفق مع بريطانيا على تحديد قوات أسطولها فتطمئن كل منهما من ناحية الأخرى يعمد موسولينى مع أنه ليس عنده عشر الموارد الألمانية الى تحدى بريطانيا واستهلاك الموارد الايطالية الضعيفة فى ايجاد أسطول بحرى قوى وأسطول جوى آخر قوي . وبدهى انه يعلم أنه ليس هناك من يهدد ايطاليا أو من يرغب فى الاستيلاء على هذه الصحراء التى تسمى طرابلس . كما يعلم أنه قد استقر الحكم فى الحبشة إذ لو كانت هناك نية بين الدول لاخراجه منها لمضت فى تنفيذها قبل الآن . وإذن فليس استعداد موسولينى هذا الاستعداد الحربى الهائل للدفاع بل هو للهجوم . والهجوم على مصر فقط . وقد يقال انه ربما ينوى الهجوم على تركيا أو اليونان . ولكن هذا الفرض خطأ . فان تركيا الآن قوية جدا . ولن تقبل بريطانيا استيلاءه على اليونان وهى لابد مصطدمة به إذا شرع فى ذلك . فاذا كان لابد من الاصطدام مع بريطانيا فأسهل عليه أن يجعل ميدان هذا الاصطدام مصر لكى ينتفع بطرابلس

وهذه العقلية الحربية فى موسولينى قد يظن البعض أننا نبالغ فى تخيلها . ولكن يكفى القاريء أن يراجع فى ذهنه حوادث الحبشة . أو حوادث أسبانيا . فان موسولينى الآن يرسل جنوداً ايطاليين للحرب فى أسبانيا ويرفض سحبهم بعد أن اتفقت جميع الدول على ذلك . وقد هزم الايطاليون هزيمة منكرة أمام مدريد . وفى هذا مايطمئننا نحن المصريين فاننا نعتقد أن الجندى الايطالى لايمكنه أن يقف أمام الجندى المصرى . ولكن ميزات ايطاليا فى الطيران كبيرة جداً . وموسولينى لايتورع عن استعمال الغازات . ومذبحة الحبشة الأخيرة تبين لون النزعة الاستعمارية الذى تصطبغ به عقليته

استعداد بريطانيا

ومانغفله نحن أو ماتغفله صحفنا لاتغفله بريطانيا ولا صحفها . فان الحكومة البريطانية قررت

أن تنفق ١٥٠٠ مليون جنيه فى السنوات الخمس القادمة على زيادة الأسطول الجوى والاسطول البحري . وبدهى أن الانجليز لايخشون ألمانيا أو فرنسا أو روسيا وانما يخشون دولة أو دلتين فقطهما اليابان وايطاليا أو ايطاليا وحدها . وقد شرعت ايطاليا تقفل البحر المتوسط من وسطه عند جزيرة بانتيلاريا بين صقلية وتونس . وستنفق بريطانيا هذا العام ٨٢ مليون جنيه على زيادة الطائرات . ولا نكاد نعقل فائدة لهذه الطائرات غير تدمير بانتيلاريا واحتلالها . فان الانجليز لن يطيقوا السكوت على هذه الجزيرة حتى تصبح مكمنا للغواصات ومحطة للطائرات الايطالية

ومن هذه الارقام ومن صيحات موسولينى المبحوحة بانه سيحمى الاسلام يدرك القارىء الاتجاه الخطر الذي تسير فيه الحوادث بين بريطانيا وايطاليا . ونسير نحن فى أثرها نحمل غرمها

ومن الاخبار التى تقلق موسولينى هذه الأيام انه ليس فى بريطانيا مصنع يشتغل بالمعادن الا وهو يعمل الآن مصنوعات حربية بدرجة ما . وجميع مناجم الفحم فى انجلترا قد باعت فحمها للمصانع التى تصنع الأسلحة والذخائر

مؤتمر مونترو

ونخشى أنه بعد أن يسافر رجال الحكومة الى مؤتمر مونترو الذى سينظر فى الغاء الامتيازات ينتهز مأجورو ايطاليا فى مصر غيابهم لاحداث القلاقل . فان مما لاشك فيه الآن أن ايطاليا تنفق عن سخاء لاحداث الاضطراب فى مصر باعتقاد أن هذا العمل يقلق بريطانيا . وعندنا شبان تخدعهم كلمات الدين والتقاليد والوطنية فاذا أثارهم المأجورون ثاروا وهم يجهلون النية المقصودة

فنرجو الحكومة ان تتنبه الى ذلك كله قبل ان يغادر رجالها مصر الى مؤتمر مونترو . والتطرف على الدوام محبوب ويمكن أن يستخدم كأداة ضد الحكومة عندما نعقد اتفاقا معقولا بشأن الغاء الامتيازات . وهذا التطرف تستخدمه ايطاليا لايجاد الاضطرابات

موكب الحضارة

بعض اخبار الشهر التي تدل على الرقي العام

نشرت جريدة « سنداى اكسبرس » برقية خاصة تلقتها من تيرانا جاء فيها ان الامر الذي أصدره الملك زوغو الى نصف مليون من النساء الالبانيات بان يخرجن سافرات ويطرحن الحجاب الذى تقنعن به منذ قرون طبقا للعادات الاسلامية هو من وحى خطيبته الكونتس حنه ميكس المجرية

فان الكونتس حنه جعلت ابطال القيود الاسلامية التى تقيد النساء شرطا أساسيا لاقترانها به

وقبولها أن تصير ملكة البانيا . وهى تصر ايضا على أن يكون عدم تعدد الزوجات الزاميا فى البانيا

« * »

جاء من مونيخ أن قد صحت العزيمة على انماء اللآلىء والتين الازميري فى ألمانيا هذا الربيع . وكلا الموسمين سيكون مهما فى اقليم البالاتينات فقد زجت كميات وافرة من المحار الذى ينمو فى جوفه اللؤلؤ فى نهر شتيناخ ونكار تحت قلعة هيدلبرج . وقد كان صيد اللآلىء زاهرا فى تلك النواحى لكن الناس تخلوا عنه منذ مئة سنة لعدم الفائدة منه. وهم يحاولون الآن التمهيد للعودة اليه

وفى المقاطعة عينها ذات الجو الممتاز بلطافته فى ألمانيا كلها وزعت ألوف من أشجار التين واللوز وستزرع أشجار تين مخصوصة مجلوبة من أزمير فى هذا الشهر وقد أعلن زعماء النازى « أن العناية بهذه الاشجار ستكون متناهية وان أشجار المناطق الحارة تعيش فى ألمانيا بمثل هذه العناية وتنقذنا من استعباد الاسواق الاجنبية »

* * *

قالت مجلة ألمانية شبيهة بالرسمية ان مصانع الكوتشوك الصناعى فى ألمانيا أخرجت ٤٣ الف طن منه سنة ١٩٣٦ يقابلها ٨ آلاف طن سنة ١٩٣٥ ويقدر المستهلك سنة ١٩٣٧ بضعفى ما استهلك فى السنة الماضية فلا تنصرم هذه السنة حتى تخرج المصانع نحو ١٥٠ الف طن وقد كان ما يصنع منه شهريا سنة ١٩٣٣ لا يزيد عن ٢٧٥ طن وسيصير فى أوائل السنة القادمة ١٢ ألفا . وفى ألمانيا ثمانية مصانع تصنعه

« * »

جاء فى احصاء بريطانى للحرير الصناعى فى العالم أن محصول هذا الحرير بلغ ١٠٣٣ مليونا و ٢٢ رطلا فى سنة ١٩٣٦ وكان ٩٣٠ الفا و ٨٦٠ رطلا فى سنة ١٩٣٥ ، وهو يوزع كما يلى لسنة ١٩٣٦ : —

اليابان ٢٨٥ مليونا

الولايات المتحدة ٢٧٨ مليونا

بريطانيا العظمى ١٦٦ مليونا و ٨٠٠ الف

ألمانيا ١١٢ مليونا

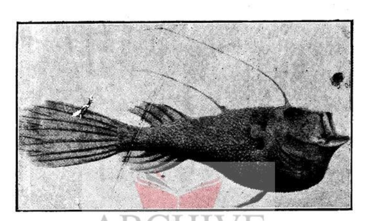
ايطاليا ٨٨ مليونا

فرنسا ٤٢ مليونا و ٥٠٠ الف

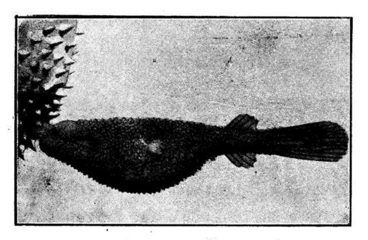
هولندا ٢٠ مليونا

روسيا السوفياتية ١٤ مليونا

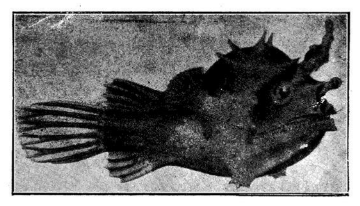
فى أعماق البحار



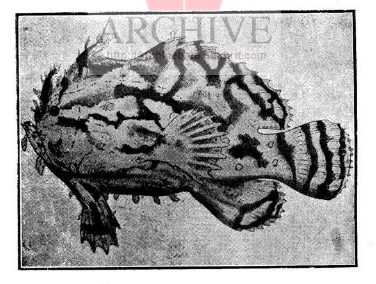
سمكة أنثى تعيش على عمق ميل فى المحيط الاطلنطى وهى تغرى فريستها بالعذبتين فوق ظهرها
وفى أسفلها يرى الذكر وقد تعلق ببطنها



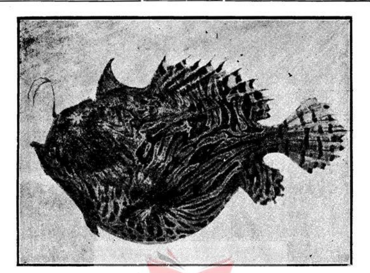
الذكر الذى يرى متعلقا بالأنثى فى الصورة السابقة وهو بجرمه الطبيعى



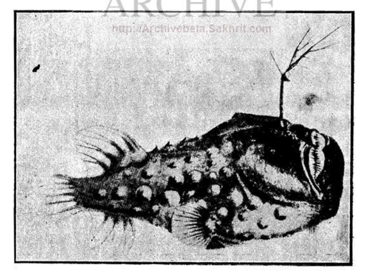
سمكة تعيش على عمق ميل فى المحيط الاطلنطى وهى تضىء الماء بغدد فى جسمها تهديها الى فريستها



هذه السمكة تعيش على عمق ميل تحت الماء وضغط الماء كبير جداً . ولذلك اذا صيدت ورفعت بسرعة الى سطح الماء تمددت الغازات فيها ونفختها . وعندئذ تبرز عيناها وتموت



سمكة أخرى بعذبتين فوق رأسها لاغراء الفريسة



سمكة أخرى تعيش على عمق ميل وتغرى فريستها بمذبات تنتشر فوق رأسها

النقد والنجاح

بقلم الدكتور امير بقطر

من أكبر عوامل النجاح للمرء في الحياة أن تستحكم بينه وبين عارفيه حلقات السلام والصفاء ، أو على الأقل ، ألا ينشأ بينه وبين الغير ، مايكدر صفو العلائق ، أو مايحدو بهم أن يحملوا نحوه في نفوسهم حقداً أو ضغينة أو كراهية . ويعد هذا العامل أقوي بكثير من غيره من عوامل النجاح كالذكاء ، والثبات ، والأمانة ، والجد والنشاط والمعرفة وسرعة الخاطر وبعد النظر

والكلام هنا مقصور على نجاح الأفراد لا الجماعات ، وعلى النجاح في حياة ذلك الفرد ، لانجاح فكرته أو سياسته بعد موته

وأول ما يتبادر الى الذهن هنا هذا السؤال :

وماهى تلك الصفة أو الصفات التي ينبغي أن يتسلح بها المرء حتى لاتشوب العلائق بينه وبين عارفيه شائبة ؟

يجيب عن هذا السؤال كبار رجال الأعمال الذين درسوا الموضوع درسا علميا سيكولوجيا ، فيقولون ان في مقدمة هذه الصفات تجنب النقد بكل وسيلة ممكنة . ويستند هذا الجواب على حقيقة علمية لاشك في صحتها . فالناس جميعا ، مهما اختلفت نزعاتهم ، وتعددت أمزجتهم ، بلغوا من الثقافة والرقى والعلم ، أو الثروة والجاه والقوة ، مابلغوا ، لا يرتاحون الى نقد الغير لهم ، أو تصوير عيوبهم ، وإن كانت هذه العيوب جلية بارزة ، لاحول لهم على انكارها

ولعل المشتغلين بالصحافة والنشر أشد الناس عرضة للكراهية والحقد من الغير . بيد أنهم لحسن حظهم يخسرون صداقة نفر قليل من الزعماء والعظماء والمسئولين أمام الرأى العام ، ليكتسبوا عطف الألوف والملايين « أحيانا » من العامة الذين يكونون خميرة الرأى العام . وقد كان السلطان عبد الحميد لايخفى كراهيته لرجال الصحافة ، ويصرح لحاشيته في كثير من الرعب والقلق ، كلماطلب اليه أن يستقبل صحافيا ، أنه « لايخشى الموت خشيته من رجال تلك المهنة الملعونة ، ولا يمقت النار ، أو يكره جهنم ، كرهه لهذه الطغمة من البشر »

وقد تسمع الكبراء والعظماء والوزراء والكتاب يتشدقون بالعبارة الكاذبة المألوفة أنهم

« يرحبون بكل نقد برىء » ، وهم فى ذلك يخدعون أنفسهم ويقولون ما لا يعنون . وقد تسمع صديقا يطلب من صديقه أن ينبهه الى عيوبه ، وينتقده كلما كان هناك وجه للنقد ، ولكنهم لا يكادون يستمعون لأصدقائهم مرتين أو أكثر ، حتى يهتز الجهاز العصبي فيهم هزة . يتقلبون بها على أولئك الأصدقاء ، فمن فتور الى ابتعاد الى اهمال الى صد الى عداء مستتر الى خصام علنى ، الى قتال عنيف ... تتوثق روابط الالفة بين فتاة منقفة جميلة ، تتمثل فيها الأنوثة ، وفتى منقف كريم ، تتمثل فيه الرجولة ، فتطلب اليه وتلح فى الطلب ، أن يصارحها فى هندامها وزيها ، لأنها لا تتخير ثوبا الا لتصادف هوى فى نفسه ، ولا تلبس حلية إلا لتبدو بها جميلة فى نظره ، ولا تعطر شعرها بطيب إلا لتقر بشذاها عينه . ولكنه مايكاد يشير عن طرف خفى الى كراهيته لفستانها العنابى ، أو منديلها الفستقى ، وما يكاد يفوه تصريحا أو تلميحا بنفد غدائرها المسترسلة ، أو أنفاسها غير العطرة — مايكاد يفعل ذلك ، حتى تسجل له فى قرارة نفسها عتابا خفيا ، وسرعان ما يستحيل جفاء «على المكشوف»

وأنى أسارع فأقول استدراكا أننى أعنى بالنقد هنا ما يشعر حقيقة بالنقد ، وما يكون محوطا بسياج كثيف من المديح والثناء ، يخفى ما تحته من الذم ومع ذلك فان هناك من الناس من لا تحتمل طبيعته حتى هذا النوع من النقد ، كأولئك الذين تعاف نفوسهم الدواء حتى لو مزج بالحلوى بنسبة كبيرة

وهناك نوع من النقد لا يكاد يقبله أحد ، مهما كانت نسبة الحلوى التى تمتزج به ، ومهما اتخذ الناقد من الحيطة فى تزويقه وإبداء حسن النية فى تجريحه للطرف الآخر . وسبب هذه الظاهرة طبيعة كامنة فى الانسان ، لم تقو وسائل التربية فى خلال آلاف السنين الماضية ، على صقلها وتهذيبها . والأمثلة لهذه لا تخفى على أحد . فما من قارىء الا ويذكر فضيحة أو فضائح لاكتها جميع الألسن ، الا أقرب المقربين الى مصدر الفضيحة ، وقرعتها جميع الآذان الا آذان أشد الناس حبا لأصحاب الفضيحة . ولعل السبب فى هذا أن بنى الانسان قد تعلموا بالاختبار والمرانة ، أن الاحجام عن تبليغ الفضائح الى الأب والزوج والشقيق وأحب المحبين حكمة بالغة ، وأن التطوع لاطفاء النار قبل تفاقمها ، مدعاة لاتهام المبلغ بأنه هو الذى أشعل لهيبها

كان الحادث التالى صدمة عنيفة لى فى عنفوان شبابى ، وقد كنت فى ذلك الحين شديد الايمان بالمثل العليا ، قوى الأمل فى تحقيقها . ولكنى كنت قليل الخبرة بالطبيعة البشرية نظريا وعمليا ، لم يمض على تقلدى سيف القتال فى حومة الأعمال سوى بضعة شهور . كانت وظيفتى تقضى على أن أتصل بأولياء أمور الطلبة شفاها أو كتابة ، فى كل ما يتعلق بتصرفهم ، وسلوكهم ، وخلقهم ،

وأعمالهم المدرسية ، ولا أذكر انني ارتبكت يوما ارتباكى من الحادث الذى أحاول تصويره الآن . ولم يكن مصدر ارتباكى إلا تلك الطبيعة البشرية التى كنت لا أفهمها مطلقا فى ذلك الحين والتى لا أدعى ادراكها إلا قليلا اليوم . على أثر علاقة مريبة ، ثبت وجودها بين طالب وآخر أكبر منه سناً بكثير ومن غير طلبة مدرسته ، أصبح الطالب هدفاً لاحتقار زملائه له ، وتحاملهم عليه بدرجة اختل له النظام ، وساء المصير . وكان لا مفر من الاتصال بولى الأمر كتابة بأسلوب لا يشتم منه سوى الرغبة الصادقة فى تعاون المنزل والمدرسة على إصلاح ذلك الشذوذ ، إذا كان هناك سبيل إلى الاصلاح ، وما كاد الرجل يفض غلاف الرسالة ، ويقرأ بين السطور ، حتى أرغى وأزبد ، وبعبع كالبعير ، وفار كما تفور القدور ، وشد رحاله إلى النيابة يبلغها أن ألفاظ الرسالة المعسولة تخفى وراءها معانى هى وصمة عار له ، وخدش فى جبين أسرته ، ومدعاة لاحتقاره بين مواطنيه . فطيب وكيل النيابة خاطره وبين له أن الرسالة خاصة ، لم تنشر ، فضلا عن سلامة نية كاتبها ، ولا تنطبق عليها مادة من قانون العقوبات على الاطلاق . وظل الوالد يعتقد فى طهارة ابنه من ناحية ، وظل الولد يعيث فى الارض فساداً من ناحية أخرى . . . حتى أغلق باب الاصلاح وفتح باب الحرمان النهائى فى وجه ذلك الفتى المسكين ، ولسان حاله يقول : هذا جناه أبى على

حكى لى صديق كان قاضياً لاحدى المحاكم فى ذلك الحين أن صديقه وأعز زملائه من رفاق الصبا ، كان يتغيب كثيرا عن منزله لأعمال تتعلق بوظيفته . وقد شاءت الأقدار أن تكون امرأة ذلك الصديق الشابة الجميلة مثاراً للقيل والقال ، ومضغة فى أفواه الجيران والمعارف . حتى بلغ السيل الزبى ، وقيل أنها تراود الباعة فى الطرق ، وتغازل البدال فى حانوته ، والتاجر فى متجره ، وتجالس الخادم فى خلواتها . فتشجع الصديق ، ووطد العزم على جمع شذرات من تلك الرسائل المبعثرة الكريهة الرائحة ، وعرضها على صديقه ، ظناً منه أنه يؤدى اليه خدمة لا تكافأ ، ويأتيه معروفا لا يجزأ . لم يأت الصديق القاضى إلى نهاية الرسالة حتى انقض عليه الصديق الموظف ، وأشبعه تأنيبا وتقريعاً ، وبعد أن أكد له أن زوجه ملك كريم ، أبلغه قطع كل صلة بينه وبينه ، وبذلك جوزى كما جوزى سنمار

ومن الغريب أنه وجد بالاختبار أن الناقد يعرض ذاته للخطر حتى فى أشد البيئات ثقافة وأبعدها عن الغرض . يلاحظ أحد الاعضاء فى هيئة محترمة جليلة ، أن أحد زملائه مشوب بعيب قد يتأتى عنه ضياع المصلحة العامة لهذه الهيئة ، فلا يسعه إلا الكلام فى وضح النهار ، فى جرأة وصراحة تعززها وقائع ملموسة ، وهو يعتقد أن فى عمله هذا فتحا مبينا . ولكنه لا يستمر طويلا حتى ينقلب عليه أعضاء الهيئة ، رغم وثوقهم من صحة أقواله

لنعد الآن الى الطبيعة الانسانية . قلنا ان الرجل الذى يحب أن ينتقد لم يولد بعد . أرأيت سجينا أو قاتلا يسلم أنه مسجون بحق أو ان جزاءه الاعدام ؟ ألا يعتقد سكان السجون جميعهم أنهم ملقون فيها ظلما وعدوانا ؟ أليس الخالق عز وجل يدين الناس بعد موتهم ،ولا يدينهم فى حياتهم ؟ من طبيعة الانسان أنه يريد أن يكون عظيما أو يشعر أنه عظيم ، وكل انتقاد يوجه اليه يشعره بنقص فى ذاته ، ويحد من كبريائه وعزته . ومعاملة الكبار لا تختلف كثيرا عن معاملة الصغار . فالطفل يتشجع إذا مدحت ما يحسنه ، ويكاد ييأس اذا هجوت مالا يحسنه . ويقول رجال الاعمال أن البحث عن محاسن الموظف والاعجاب بها أمامه ، بغير مداهنة أو تضليل ، أكثر انتاجا من التنقيب عن معايبه وتصويرها له ، وقد سئل روكفلر الكبير عن سر نجاحه فى الحياة فكان جوابه « إعجابى بمحاسن زملائى وموظفى وعمالى ، وتقديرى لأعمالهم » وسئل كذلك وكيل المثرى الشهير كرنجى عن سر نجاحه ، وكان مرتبه السنوي مليون ريال (مئتى الف جنيه مصري) فكان جوابه لا يختلف عن جواب روكفلر

ونرى فى قانون العقوبات الحكمة مجسمة عند ما نراه يصون المومس من أن يدعوها كالناس بهذ الاسم وان كانت خليقة به

وهذا يؤدى بنا الى سيكولوجيا البيع والشراء . من المشاهد أن أجل المخازن التجارية شأنا أحسنها معاملة للشارى . فمحلات اللوفر وبرنتان فى باريس وسلفرج وبركر فى لندن وميسى ووانيمكر فى نيويورك يبلغ من أدب رجالها ونسائها أن المشترى عندهم يعتبر مصيبا دوما وان أخطأ ، والبائع يعتبر مخطئاً دوما وان كان على حق ، كلما قام خلاف بين المشترى والبائع

وفى دار الاوبرا فى مدينة شيكاغو فى أميركا قانون لا استثناء له ، وهو أنه إذا قام خلاف بين صاحب التذكرة والموظف المختص بارشاد الناس الى مقاعدهم ، فان الموظف يكون جزاؤه الرفت فورا ، وان كان العيب منصبا على صاحب التذكرة

ومديرو الفنادق والمطاعم الكبرى فى أوربا ينزلون على رغبة المسافرين أسوة بالخدم ، ولا يحاولون بتاتا أن يوقعوا اللوم على زبائنهم وإن كان خطأ هؤلاء واضحا

« * »

بيد أن النقاد للمصلحة العامة اكثر الناس أخلاصا للمجتمع ، وان تعرضوا لكراهية الناس . فقد كان فولتير نقاداً جريئا ولاذعا فى نقده ، وكان قلمه من نار ، يسوم الملوك ورجال الكنيسة فى ذلك الحين العذاب ، وكان مكروها من الطبقات التى كان يوجه اليها سهام نقده . ولكنه كان (وجان جاك روسو) من أكبر المصلحين ، ولولاه لما كانت الثورة الفرنسية ، ولما جاءت الحرية والاخاء والمساواة

كذلك برتراند رسل وبرنارد شو ، لهما من الاعداء كثيرون ولكن لاينكر أحد ماتؤلفاتهم من كبير الفضل فى تحرير الفكر من القيود والأغلال وتحرير الانسانية من الاستعباد . كذلك كان معظم المفكرين والفلاسفة والكتاب والعلماء من عهد روجر بيكون وفرنسيس بيكون وجاليليو الى رجال الاصلاح الدينى الى كارل ماركس وروبرت أوين الى غيرهم من كبار الناقدين للنظام الاجتماعى والسياسى فى يومنا هذا

« * »

خلاصة هـذا البحث (١) أن الطبيعة الانسانية أياً كان صاحبها لايتسع صدرها للنقد اتساعا يحبب اليها الناقد (٢) أن الناقد مهما سلمت نيته يعرض ذاته لكراهية المنتقد وعدائه اللهم الا اذا جاء النقد ممزوجا بكمية وافرة من الثناء فى ناحية أخرى ، مكسوة مرارته بطبقة سميكة من الحلاوة (٣) أن معظم نجاح الفرد فى الحياة يرجع الى صفاء العلائق بينه وبين عارفيه وزملائه ، وكل مايعكر ذلك الصفاء وان كان فى صالح أولئك العارفين والزملاء يمهد الطريق الى فشل الناقد فى حياته وعمله (٤) وجد بالاختبار أن ثناء الرئيس على كل ماهو حسن فى المرءوس ، وثناء المعلم على كل ماهو حسن فى الطالب ، وثناء الوالد على كل ماهو حسن فى ولده ، وثناء أحد الزوجين على كل ماهو حسن فى الآخر ، بغير ملق ومداهنة ، أجدى وأنفع من النقد . واذا كان هناك مما يدعو للنقد فيجب أن يكون بطريقة غير مباشرة ، وفى مزيج من الحلوى (٥) تختلف مسئولية الصحافى والكاتب المفكر والفيلسوف عن غيره من الناس فى أن نقده ، وان عرضه لكراهية الاخصاء ، فانه يشيد له مجداً فى المستقبل ، ومعظم الاصلاح الاجتماعى كان على أيدي هؤلاء ، فالصحافى الذي يكيل المديح لكل الناس ، قد ينال الحظوة لدى العظماء ، ويحشد الثروة ولكنه لايؤدي للمجتمع خدمة تذكر ، فى حين أن الناقد الجرىء يكثر حوله من أعدائه ويلقى فى غياهب السجون ، وقد يقتل ، ولكن يراعته لاتتحطم بعد موته ، ومداده لايجف بعد ذهابه ، وكلماته تخلد وان حرق القرطاس الذي يحويها . فهو كالشمعة تضيء المكان للغير وتحرق نفسها

أمير بقطر

مائة سنة على وزارة المعارف

احتفلت وزارة المعارف فى الشهر الماضي بمرور مائة سنة على تأسيسها . فان « ديوان مجلس شورى التعليم » أسس فى مارس سنة ١٨٣٧ وهذا الديوان هو البذرة الأولى لوزارة المعارف الحاضرة

ولم تكن مصر خالية من معاهد التعليم قبل انشاء هذا الديوان . ولكن هذه المعاهد كانت «شرقية» لاتعرف العلوم الحديثة . وإذا كانت كليات الازهر هى وليدتها فانها تختلف منها اختلافاً كبيراً لأن العلوم الحديثة قد دخلت هذه الكليات

ولم يكن محمد على حين أنشأ هذا الديوان ينوي نشر التعليم بين المصريين . فان هذه الفكرة كانت بعيدة كل البعد عن اهتمامه . وانما كان يريد أن يجهز الجيش بالضباط المتعلمين . وكان الجيش هو الباعث على ايجاد المدارس . ولكن مصر مع ذلك انتفعت بالمدارس التى أنشأها محمد على وكانت المعارف التى ذاعت منها بصيصاً — وان يكن بصيصاً ضعيفاً — من نور الحضارة الحديثة

ثم انتكست مصر أيام عباس الاول وعادت الى العصور المظلمة لأن هذا الأمير كان يكره الحضارة الغربية لأنه لم يكن يفهمها . ثم جاء سعيد باشا ولكنه مع رغبته فى نشر هذه الحضارة لم يعش طويلا لكى يحقق غايته . وبعد ذلك نجد اسماعيل باشا بانى مصر الحديثة ينظم التعليم ويقسمه الى الأقسام الثلاثة التى هو عليها الآن ويعمم المدارس فى أنحاء القطر لكى ينشر التعليم بين طبقات الأمة . لأنه أراد أن تكون الامة متعلمة وليس ضباط الجيش فقط

فاذا كانت وزارة المعارف تعود بتاريخها إلى ايام محمد على سنة ١٨٣٧ حيث تنتسب الى « ديوان مجلس شورى التعليم » فان هذا الانتساب شكلى . لأن الصلة بيننا وبين محمد على مقطوعة ليس فى التعليم فقط بل فى كل شيء تقريباً قام به هذا العاهل سواء فى المصانع التى أسسها والتى خرب معظمها قبل وفاته أم فى المدارس التى أنشأها والتى الغيت أيام عباس أو غير نظامها حتى أحالها إلى غير ما كانت عليه قبل

ومع أنه قد مضت مائة سنة على وجود هيئة حكومية تشرف على التعليم فاننا لانستطيع أن نقول ان النتيجة تسر مصرياً طامعاً فى الرقى . ذلك لأننا إذا استثنينا المدارس الالزامية والأولية لايمكننا أن نقول أن الذين تعلموا فى سائر المدارس يبلغون ١٠ أو ١٥ فى المائة . ولنا الحق أن نستثنى المتعلمين فى المدارس الالزامية والأولية لأن النتائج التى تستخرج منها محزنة وهى لاتعلم شيئاً يستحق بأن يوصف بلفظة التعليم

فاذا نظرنا الى المدارس الأخرى فى أقسامها الثلاثة جاز لنا أن نسر بنتائجها المتوسطة ولكن ليس لنا ان نطرب . اذ ليس فيها من التفوق مايدعو الى الطرب . وترجع العلة لهذه الحال الى أن المشرفين على التعليم فى المائة من السنين الماضية لم تكن لهم غاية واحدة توجه اليها الخطط التعليمية وتعدد الغايات كان سببا لتعدد الطرق والمواد التعليمية

١ — ففى أيام محمد على كانت الغاية تخريج الضباط مع تعليم التركية كلغة أساسية أجنبية

٢ — وفى أيام عباس الأول كانت الغاية تعطيل التعليم واقفال المدارس

٣ — وفى أيام اسماعيل أنشئت المدارس الحديثة مع تعليم الفرنسية كلغة أساسية أجنبية

٤ — وفى أيام توفيق وعباس الثانى جعلت غاية التعليم تخريج الموظفين مع تعليم الانجليزية كلغة أساسية أجنبية

ومن هذا التخبط يرى القارىء أننا لم نستقر على غاية واحدة وأن اللغة الاجنبية التى نعتمد عليها فى اصطناع الثقافة الحديثة لم تكن واحدة فلم نجد الوقت لأن يتقنها الذين يتعلمونها . بل حدث منذ ثلاثين سنة تقريبا أن أصبح تعليم المواد باللغة العربية . وهذا يعد كسبا للغة العربية . وهو كسب يجب الا تستصغر قيمته . ولكن لقاء هذا تقهقرت اللغة الانجليزية وأصبح الشاب الحديث عاجزاً عن اصطناع الثقافة الاوربية أى أعجز من الشاب الذى ترك المدارس قبل الحرب العظمى

ولا نستطيع أن نقول اننا بعد مائة سنة قد استقرت عندنا الخطط التعليمية . فاننا هذه الأيام نتحدث عن الغاء الشهادة الابتدائية . وقد فصلنا التعليم للصغار فبعضهم يتعلم فى مدرسة «أولية» حيث يجد قشوراً من التعليم الشرقى الذى لايفيد . وبعضهم يتعلم فى مدرسة ابتدائية تعد راقية اذا قوبلت بما يضارعها من المدارس الأوربية . أما التعليم الثانوى فأعظم ما يحزن فيه أن اللغة الأجنبية الأساسية قد تقهقرت . وهى — ونحن نعود فنؤكد — الاساس للثقافة الحديثة

أما الجامعة المصرية فخطوة الى الامام . ولكن الحركة التى ظهرت فيها هذا الشهر عن كراهة التعليم بين الجنسين وعن الصيحة الشرقية فى تعليم الدين فى الكليات لاتنبىء بخير

التطور الحديث فى مصر وتركيا

للدكتور اسماعيل احمد أدهم

راج فى الدوائر الفكرية بربوع جمهورية أتاتورك الفتية رأى فى حرية الفكر والتفكير بثه زميلنا الأستاذ حسين جاهد صاحب جريدة «طنين» السياسية سابقا ومحرر مجلة Fikir Hareketleri فى محاضراته عن أساليب الفكر فى العالمين الشرقى والغربى » . ومؤدى هذا الرأى أن حرية التفكير فى تركيا نتيجة لسلسلة من الفواعل فعلت فى صلب التاريخ التركى منذ أقدم عهوده فتمخضت عن عقلية الانقلاب الأخير . وهذه النظرة يحبوها النقد بالشىء الكثير من نتائجه . فقد ثار حولها شىء من النقاش اشتد مع الزمن واشترك فيه أعلام النهضة التركيه الحديثة من أساتذة جامعة استانبول ومعهد الغازى للتاريخ وكبار رجال العلم والأدب . وكان لصوت الاستاذ قابيل آدم الباحث الاجتماعى صدى كبير فى الدوائر الأدبية فى تعليقه على هذا الرأى . غير أن هذه الثورة مالبثت أن هدأت وانقشعت من حولها غيوم الأفكار ، وهنا عثر المفكرون على الأسباب الحقيقية التى من أجلها قام الانقلاب الحديث وتقومت حرية التفكير ووقف الباحثون على مقدار مافى رأى حسين جاهد من أوجه المرونة للالتئام من حول التاريخ التركى

* * *

لقد أخذت تركيا تخطو بخطى سريعة للاندماج فى الأسرة الأوربية مدفوعة

الاستاذ اسماعيل احمد ادهم

لذلك بشعور قوى فى انقاذ مصير الامبراطورية العثمانية من الزوال ، فقـد أحس كل المفكرين فى تركيا فى أواخر القرن التاسع عشر بأنهم وقفوا من سير الزمن يطلون على عصر لايبعد عنهم كثيراً تتمخض الحوادث فيه عن تمزق أوصال الامبراطورية العثمانية ، ولم يكن هذا الشعور إلا نتيجة أخذ كثير من أبناء تركيا بالثقافة الحديثة وملاحظتهم أن الأمم التى تقع غربهم هى الأمم المتمدنة وأن التى تقع شرقهم مجموعة من الشعوب المستعبدة — الشيء الذى رفعهم للايمان بمنطق الحياة الأوربى . وهذه الظاهرة أخذت طريقا للظهور من عهد سليم الثالث ، إذ حاولت تركيا على عهده أن تندمج فى الأسرة المتحضرة الأوربية ، ولكن كانت للمدرسة القديمة والرجعيين يد طولى فى العمل على عرقلة هذه الحركة محاولين بعد ذلك أن يبقوا تركيا مشدودة إلى الماضى بخيوط وأمراس حديدية ، وأن يربطوا ، مقادير تركيا فى حاضرها بما حملته من الماضى وخرجت به من تاريخها سقيمة تخطو خطوات نحو النزع ، أما الروح الجديدة فمضت عن طريق لاشعوري تؤثر فى الطبيعة التركية مستجمعة أسباب الثورة والانقضاض على المدرسة القديمة التى كانت تتمثل فيها أسباب فشل تركيا فى الماضى حتى كان الانقلاب الأخير

لقد عاشت تركيا فى الفترة الأخيرة التى سبقت الانقلاب الأخير فى حالة تفكك تام واضطراب فبينما كانت المدرسة الحديثة تدفعها للاتصال بمجرى الحياة العالمية كانت المدرسة القديمة بعقليتها التقليدية تربطها بالماضى وتحاول أن تمنع اتصالها بالحياة الجديدة ، وبين هاتين العقليتين عاشت تركيا فى العقد الأول من القرن العشرين حتى كان الانقلاب الكمالى الذي تم سنة ١٩٢٣ م ، وهو الذي حرر العقل التركى من الدين وتركه يمضى من سنن النشوء والارتقاء فسارت العقلية التركية أشواطا طويلة ، ولم يكن هنالك من سبب جعل العقلية التركية تجمد الا ربط الدولة بالدين وإخضاع جميع مرافق الامة للديانة الاسلامية وإخضاع الاتراك لروح الاسلام الديني والاجتماعي والتشريعي والثقافى ، فنحن نعرف من التاريخ أن آل عثمان خلفوا السلاجقة فى حكمهم على آسيا الصغرى ، وأن آل عثمان تأثراً بالنعرة الدينية قضوا على نظام التصوف والباطنية الذى كان يسود ربوع آسيا الصغرى والذى كان له فضل حفظ القومية التركية من أن تتلاشى فى نظام المدرسة الاسلامية ، فلما جاء آل عثمان أقاموا الدولة على أساس المدرسة الاسلامية التى كادت تقضى على روح الاتراك القومية فاذا لاحظنا بجانب هذا أن الفرس حفظوا قوميتهم ولغتهم وروحهم بما لهم من مذاهب التصوف والباطنية والتشيع لآل على الذى كان ستاراً للعوامل السياسية والقومية والاجتماعيـة التى فعلت فى العنصر الفارسى ، أيقنا أن هذه الظاهرة يحبوها الواقع بتأييده . أما مصر وسوريا والعراق وشمال افريقية التى تلاشت شخصيتها فى الاسلام فلم يكن لها من ظروفها ماتقوم به ذاتيتها لتحفظ روحها نقية صافية ازاء نظام الاسلام ، لهذا سرعان ما رأينا أن القومية والثقافة والعادات العربية ملكت

احية هذه الشعوب ففقدوا حقوقهم الشخصية ولغتهم وثقافتهم التقليدية وكل صلتهم بماضيهم وذابوا فى بوتقة الاسلام وما كان يحمله فى تضاعيفه من ثقافة العرب وتشريعهم ولغتهم وعاداتهم . ولو نظرت إلى تلك المرتفعات التى تمتد من خليج العجم إلى مرتفعات القوقاز على الحدود الايرانيه العراقية مقيمة سداً منيعا وفاصلا بين العنصرين العربى السامى والايرانى الآرى لوجدت فاصلا طبيعيا بين خضوع عنصر خضوعا تاما للمدرسة الاسلامية وعقليتها ، وبين إباء عنصر بقى مستقلا محافظا على روحه وقوميته ولغته متصلا بماضيه وثقافته التاريخيه . وهذا الفاصل كان يقترن بقبائل إيرانية وأخرى تركمانية عرفت فى تاريخ القرون الوسطى بتشيعها لآل على ولعبت دوراً كبيراً على مسرح التاريخ الاسلامى ، فانها عرفت بنظام التصوف والتشيع كيف تحفظ نفسها من أن تتلاشى فى الروح العربية

لقد خرج المصريون من ماضيهم بثقافتين: الاولى تتصل بالثقافة العربية والثانية بالثقافة الفرعونية ولقد اختلطت هاتان الثقافتان اختلاطا كبيراً عند المصريين حتى أنك لا يمكنك أن تفرق بينهما فى مصر الحديثة ... ويتصل تراث المصريين الثقافى والفكرى والسياسى وأخيلتهم وعقيدتهم بالروح العربية بينما بقيت مصر مربوطة من وجهة اجتماعية وفنية بالروح الفرعونية . ولولا أن حياة مصر الاجتماعية تركزت فى الحقل لاستقوت عجلة الحياة الاجتماعية العربية عليها ومثلتها ولطبعتها بالروح البدوية . والذى يعنينا هنا أن الذهنية العربية مثلت العقلية المصرية ، ففقد المصريون أخيلتهم وقطعوا صلتهم بماضيهم ، ولا تزال مصر منذ خمسة عشر قرنا خاضعة لتراث العرب الفكرى واللغوى والدينى « أنظر مبحثى فى مجلة Fikir hareketleri Misir hatiralari ve Azhar hayati, 1934 » وكل هذه الحركات صبغت مصر بصبغة عربية إلى حد كبير نخرجت مصر عن مصريتها إلى الاندماج فى الاسرة العربية . ولا شك أن هذه العاقبة جعلت مصر بعيدة عن منطق الحياة ، وإن كان للمصريين أن يعرفوها فعليهم أن يحتذوا حذو تركيا ، ولا بد لهم فى ذلك من ثورة فكرية اجتماعية سياسية تتصل بمشاعرهم قبل عقولهم تتمزق خلالها أوصال العقلية العربية ، وتخلص مصر من الكابوس العربى

« * »

إذا تركنا الماضى للحاضر ، وتركنا مصر لتركيا تدرس مدارس الفكر فيها ، فأول ما يطالعنا تاريخ الفكر فى تركيا فى القرن الاخير بثلاث مدارس : —

الاولى : مدرسة اليمين ، وتمثل العقلية الاسلامية فى الخلافة حامية الاسلام والمسلمين

الثانية : مدرسة المعتدلين ، وتمثل العقلية التركية

الثالثة : مدرسة اليسار ، وتمثل العقلية الأوربية

أما المدرسة الأولى فكما قلنا كانت صاحبة الأمر والنهى فى تركيا متحكمة على الرقاب متسلطة على الأفكار مقومة بالروح العربية ، تدعو الى توطيد العالم الأسلامى تحت ظل الخلافة فى تركيا . والمدرسة الثالثة كانت ترى التحرير التام لتركيا من عقلية الشرق فتريد منها أن تقطع كل صلتها بالماضى وتنتحل العقلية الأوربية انتحالا ، وكانت هذه المدرسة تتظاهر فى ثلاث فرق

« ١ » فرقة الماديين وعلى رأسهم بها توفيق بك وأحمد نبيل بك ، وهم يدافعون عن النظرة المادية متابعة لكارل ماركس وأرنست هيكل ويروجون لمبادىء الاشتراكية

« ٢ » فرقة العدميين وعلى رأسهم يوسف آجورة ، وهم فوضويون يريدون الانقضاض على المجتمع التركى ، ورائدهم فى هذا بكونين ، وعقيدتهم أنه لا يصلح العالم ولا يقوم عالم جديد الا إذا هدم القديم وقام الجديد على أنقاضه

« ٣ » فرقة الاجتماعيين وعلى رأسهم عبدالله بك جودت ، وهم يدافعون عن نظرات غوستاف لبون فى إرجاع كل ظاهرات عالم الانسان لحوادث اجتماعية تطورت عن أخرى بدائية

وقد لاقت كل فرقة نجاحا كبيرا فى اجتذاب عدد كبير من شباب تركيا اليها . إلا أن كلتا المدرستين كانت بعيدة عن الاحتواء على عنصر فعال ، مما جعل العقلية التركية تتفتح على يد المدرسة الثانية وتنفض عنها غبار الجمود . وهذه المدرسة هى مدرسة ضيا كوك آلب بك صاحب مذهب دراسة التاريخ المقارن وهو الذى تخرج عليه الاستاذ حسين جاهد بك وهى ترى عن طريق ربط فلسفة برجسون بمذهب دوركهايم فى الاجتماع أن تنظر إلى القيم values وتستخرجها عن طريق تعيين السنن التى تمضى بالجماعة البشرية فى سلم النشوء من حادثة اجتماعية الى أخرى من جنسها ، واستنادا إلى هذه النظرة بعثت هذه المدرسة نظرة جديدة فى الوطنية التركية عرفت فى قول ضيا كوك آلب بك

« نه توركيا توركاره وطندر ، نه توركستان »

« وطن . بويوك مؤبد برأولكه در : توران »

ومعناه : « ليست تركيا ولا التركستان بوطن للاتراك . انما الوطن تلك الوحدة الخالدة توران » الذي كان عنوانا للروح التركية الصميمة . وفى هذا يقول قابيل آدم بك

« هذه الفكرة التى عمل على بثها ضيا كوك آلب بك لم تكن فى وقت من الاوقات موضوع بحث عند الاتراك مع أنها فكرة تتصل بشعورهم القومى وتنزل فى عالم الموضوع كما تنزل فى عالم المشاعر وتبدو كخيال تصورى غير بعيد . فارجاع الاتراك الى العنصرية التركية ، ومحاولة اقامة دولة تركية

جديدة بمقتضى المضى على سنن النشوء والارتقاء فى نطاق السلالة التورانية ، كانت الأسس التى تستمد منها هذه الفكرة قوتها وتتقوم بها للحياة فى بيئة تبدلت ونزلت عندمقررات عقلية المدرسة الاسلامية والذهنية العربية »

ونجحت هذه المدرسة فى بعث الروح الوطنية وتقوية فكرة تحقيق الوطن التورانى عندالشباب وكان أثر هذا كبيرا فى ضعف الروح الدينية جريا على قانون التعويض ، وكان كل هذا بمثابة مقدمات للانقلاب الاخير وتكوين ذهنيته

« * »

إن عقلية الانقلاب التركى الحديث عقلية اختلف فى تحليلها الباحثون وخلط بينها وبين العقلية الاوربية كثيرون من كتاب التاريخ : فمن الشائع خطأ أن ذهنية الانقلاب لاتخرج عن كونها ثورة على الماضى ومحاولة للتخلص من الشرق مع العمل لانتحال العقلية الاوربية ، فهذه النظرة ان قومتها بعض الاسباب ووجد لها من الحوادث مايبعثها فى عالم الفكر لمآرب وغايات فانها بعيدة عن أن تنطق بعقلية الانقلاب كما يعرفها الواقفون على تاريخ تركيا . ويمكننا أن نلخص القول فى هذه الذهنية بأنها ثورة على عقلية المدرسة الاسلامية ورجوع الى العقلية التركية فى صميمها مع محاولة تطعيمها بالذهنية الاوربية فان القائمين بالانقلاب الحديث نشأوا من مدرسة ضياكوك الب بك وتخرجوا فيها ، وهم ينظرون لاقامة تركيا استنادا على ماتوحيه مباحثهم التحليلية فى طبيعة الاتراك وذهنيتهم الحقيقية ، فالرجوع باللغة التركية الى اصلها الاول الذى انحرفت عنه فى عصور السيادة الاسلامية بالاخذ من اللغتين الفارسية والعربية مظهر لهذه الحقيقة الواقعة التى تحسها ، والاخذ عن المدنية الاوربية صورة لتلقيح الفكر التركى بآثار الذهن الاوربى . فاذا تجاوزنا هذا كله الى مايعنينا من أن حرية التفكير العلمية التى تحياها تركيا الآن ليست نتيجة لها وأنها أبعد غورا فى تاريخ تركيا من أن تتسع لها صفحات هذه المجلة ، كان لنا أن نتناول أثر هذه الحرية الفكرية فى العلوم وفى الثقافة فى ظل الانقلاب الاخير

فى تركيا دكتاتورية يدير أتاتورك دفتها بيد من حديد ـ وهى دكتاتورية علمية صالحة ـ ويسير بها خطوات واسعة نحو تمكين الثقافة فيها ، حتى لانكون مغالين اذا قلنا انه لاتمضى سنوات حتى تصبح تركيا من البلدان الاولى فى ثقافة أبنائها « أنظر تقرير الفيلسوف الامريكى جون ديوي الذى وضع نظم التعليم لتركيا سنة ١٩٢٨ » . أما القانون التركى فهو يبيح الحرية الفكرية العلمية وخصوصا لان تركيا الحديثه دولة علمانيه تعمل على تقوية الملكة العلميه عند الشعب التركى كما تعمل على محاربة الامية ، فبعد ما كان عدد الاميين فى تركيا ٨٠ فى المائة من سكانها عند الانقلاب

الأخير نزلوا الى ١٥ فى المائة سنة ١٩٣٤ ، ولا ينتهى عام أو اثنان حتى تتلاشى الامية . ولزيادة الفائدة أقدم هنا تقرير إدارة المطبوعات التركية عما نشر فى تركيا خلال عامى ١٩٣٤ و ١٩٣٥ م :—

مؤلفات : ٣ر٧٤٨ كتابا منها ١ر٩٨٧ فى الآداب و١ر١٩١ فى العلوم و٥٧٠ فى الفلسفة

مترجمات : ٣ر٧٤٨ كتابا منها ٣ر٨٨٧ فى الآداب و ٢ر٩٨٧ فى العلوم و٧٩١ فى الفلسفة و١٠٨٣ فى التاريخ

مجلات : ٢٨٣ مجلة ، منها ١٥ مجلة مختصة بالمباحث العلمية ومجلتان للمباحث الفلسفية و ٤٢ مجلة أدبية وسبع مجلات موقوفة على المباحث التاريخية و ٤ مجلات على فن النحت والتصوير و ١٢ مجلة تمثيلية سينمائية و ٣٨ مجلة تعنى بشؤون السياسة

ولو مضيت للمقارنة بين هذه الارقام وبين مانشر فى فرنسا وانجلترا من الكتب فى خلال المدة لهالك الفرق وهو فى صالح الاتراك . والكتب الخاصة والمجلات الخاصة أقل عدد يطبع منها ٢٥٠٠ نسخة مثل « مجلة المباحث الحديثة فى الكيمياء » و « مجلة مجمع الرياضيات التركى » . وأذكر أن كتابا فى نظرية النسبية لزميلى الدكتور حسنى حامد نشر عام ١٩٣٥ فنفدت عشرة آلاف نسخة منه خلال السنة باعادة طبعه بضع مرات . وهذه الارقام تدلنا الى أى حد تعنى حكومة تركيا ويعنى الشعب التركى بالثقافة العلمية والفلسفية والفنية . واذا أرادت مصر أن تحيا حياة فكرية صحيحة وتنشىء لنفسها ثقافة تقيم عليها أساس تمدنها فلا أقل من ٣٠٠ كتاب سنويا يجب أن تنقل اليها من اللغات الاوربية على مدى عشر سنين أو نحو ذلك . وتكاليف هذا كله لن يزيد على المليون . فاذا كانت ميزانية الدولة تتسع لنصف مليون جنيه سنويا للازهر فلا معنى لأن تضيق بمائة الف جنيه فى سبيل نشر الثقافة العالمية ، وان كان الذى يربط الدولة بالازهر ذلك الماضى الذى خرجت منه مقيدة اليه فليس ذلك يعنى أن تنقطع مصر عن موجة الفكر الانسانى وروح العصر وتبقى مربوطة الى الماضى فلا تعمل على تلقيح الفكر المصري بالافكار الجديدة فى العلم والفلسفة والتاريخ والأدب . وبجانب هذا لابد من برنامج للتعليم يقوم على أساس علمانى لجميع طبقات الشعب ، ويكون التعليم اجباريا حتى الابتدائية كما فى تركيا ، ومجانيا على جميع مراتب التعليم . فهذه تركيا وميزانيتها لاتزيد على ١٨٦ مليون جنيه تركى أو حوالى ٢٧ مليون جنيه استرلينى ، مع قيامها بأعباء نفقات جيش لجب وأسطول جوي وبحري للدفاع عن نفسها باذلة من أجل ذلك أكثر من ٤٠ فى المائة من ميزانيتها ، فانها تقوم بتعليم عشرة آلاف شاب فى المدارس العسكرية مع تكلفها بشؤونهم من المأكل الى الملبس والمسكن ، وزيادة على ذلك قد جعلت التعليم مجانيا على جميع مراتبه حتى بالجامعة ، واجباريا حتى التعليم الاعدادى ، فان لم تضق ميزانية تركيا عن ذلك بتدبير رجالها

فلا معنى لأن تضيق ميزانية مصر عن ذلك وهى أعظم ثروة من تركيا

فان تجاوزنا هذا كله الى مدارس الفكر فى مصر وجدنا أننا ازاء ثلاث مدارس :

الاولى : المدرسه القديمة « الازهر »

الثانية : مدرسة النهضة الاوربية « الجامعة »

الثالثة : مدرسة التحرير الكامل « شبلى شميل ، اسماعيل مظهر ، زكى أبو شادى ، سلامة موسى »

فالمدرسة الأولى تمثل مذهبا فكريا يرجع لمذاهب القدماء فى التفكير والعكوف على الطريقة التقليدية ، وترجع بالحادثات الى ماوراء الطبيعة ، وتجرى وراء علل الاشياء الاولية والاخيرة .

وهذه العقلية عقلية غيبية صرفة تبرز لك من ثنايا التاريخ فى عصور التاريخ المظلمة ، فى القرون الوسطى . وتحليل عقلية هذه المدرسة لن يرضى الكثيرين من الباحثين ، فقد تكون نفوسهم تشربت تعاليمها ، وقد يكون الكثير منهم مؤمنا بأن هذه العقلية إذا ماتغايرت أو انتابها شىء من التغاير تقوّض ركن العقيدة وانهار قائم اليقين ! فمن الصعب جدا أن نحلل العقلية القديمة بما يرضى نزعة هؤلاء ، وفى الوقت نفسه نتزل على قواعد النقد الحديث . وهذه العقلية إن بدت لك فانها تبدو لك فى جمود ، إذ هى ترى كل شىء ساكنا رغم أنه متحرك . فالاجتماع ساكن رغم ماينتابه من التغاير الملموس ، والكون ساكن رغم أن سنن الوجود تقذف به ملايين الاميال الى الأمام ، وكل مافى الكائنات لايتغاير مع أن الشمس تشرق كل يوم عن جديد !

وهنالك مظهر ثان هو تقديس الماضى والانصراف عن الحاضر . فهذه العقلية تعتقد خطأ أن خير الايام مامضى (أنظر « تاريخ قديم » للشاعر التركى الكبير توفيق فكرت ، ففيه ينقد هذه العقلية نقدا شديدا) وتتخذ لنفسها منظارين أحدهما مصغر أسود إذا مانظرت الى الحاضر أو أردت استبانة المستقبل ، والآخر منظر مكبر إذا مانظرت للماضى (الرسالة العدد ١٢٦ من السنة الثالثة ـ ٢ ديسمبر سنة ١٩٣٥ مقال « أمس وغدا » للاستاذ أحمد أمين ص ١٩٢٣ — ١٩٢٤)

هذه قرارة عقلية المدرسة القديمة : جمود ، وتقديس للماضى ، وانصراف عن الحاضر ونكران لكل مطالب الحياة ، وتواكل على القضاء والقدر ، واستسلام صرف لما سوف يأتى به الغد ، وإغفال محض لمواعظ الماضى وعظاته . وهذه عقلية توافق الانسان فى غرارته الأولى وبساطته عند ما أخذت صدفة الفكر الانسانى تتفتح فى عصور الظلمات الأولى عن جرثومة الفكر التى نشأت معها بدايات الفن وأوليات الفلسفة والعلم

وانك مهما مضيت فى الاستقصاء فلن تخرج من طول بحثك عن الاعتقاد بأن عقلية المدرسة القديمة عقلية تركزت من حول مجموعة من الاثريات وحول تفسيراتها الحرفية التى يفسرها به أئمة الدين ورؤساؤه ، فتؤخذ على أنها حقائق ثابتة لايأتيها الباطل ، ولايلتفت الى معانيها المجازية

التي يأخذ بها المجتهدون المجددون وأهل الثقافة الواسعة ، وان كنت أرى تحتيم التفسير المقارن .
وهذه العقلية مع جمودها تعتقد خطأ أن الشرائع موحى بها من عند الله وتثبت عند هذه الشرائع قانعة بان التغاير لو انتابها لانهار قائم المجتمع وتقوض ركن الجماعات وأصبح الناس في حالة من الفوضى لا نظام لهم ولا أخلاق تردعهم عن فعل الشر وارتكاب الآثام . وكأني بهم إذ يرون أن هذا النظام الاجتماعي نتيجة شرائعهم يتدرعون بان يجعلوا لها مصدراً سماويا ، جاهلين أن كل مافي المجتمع مظهر من مظاهره يحدثها وجود الجماعة وتتبع الجماعة في تطورها ، وبتعبير آخر كل مايقوم في جسم الهيئة الاجتماعية من المظاهر انما هي من الحاجات التي يتطلبها وجوده ، لم تنزل من السماء ولم يهبط بها وحي وهذا مايقرره علم الاجتماع
وهم باعتقادهم أن الشرائع علة وجود المجتمع وأن ثباته مرهون ببقاء هذه الشرائع انما يضعون أمام تيار التقدم عراقيل ، فان كل شريعة مهما كانت نافعة في وقت سنها فانها بلا شك تحوي جرثومة تعارض الرقي في المستقبل ، لأن الشريعة تأخذ بطول المكث شكلا عديم الحركة وتثبت عند قاعدتها جامدة في حين أن المجتمع يترقى ويتطور ، فاذا حصل ذلك فان المجتمع يتخطى هذه الشريعة المتحجرة إلى سواها مما يتفق ومقتضيات الزمان . فاذا أعطينا شريعة من الشرائع حق البقاء على توالي الدهور بغير تنقيح فانها تقعد بالمجتمع عن الترقي ، ولا أظن أن ابليس لو أراد أن يجعل أمة تنحط لما بلاها باكثر من هذه العقلية فأنزلها الى الحضيض . وهذه العقلية هي التي أنزلت سوطها على « العقل » من أجل نزعاته الحرة وكانت السبب في الصدام الذي وقع بين رجال العلم والكنيسة في القرون الوسطى (أنظر لصاحب هذا المقال Misir hatiralari ve Azhar hayati 1935 — 1934 في مجلة Fikir Hareketleri)
وهذه العقلية محورها الأزهر ، وقد أطلق اسم « الأزهر » على كثير من المعاني ، فاستعمله « ويلسون كاش » على أنه الجامعة التي يتلقى فيها المسلمون فقه الشريعة المحمدية وعلم أصول الاسلام غير أن الواقع غير ذلك . فالأزهر بعيد عن روح الاسلام ، إذ الاسلام يقوم على دعامتين القرآن الشريف وحديث الرسول (ص) وسنته ، وإن كان حقيقة كل مايدرس في الازهر انما هو تمهيدات لهما ، فالحديث بعيد عن انه كلام النبي (ص) حتى أن الامام أبا حنيفة لم يصح عنده غير أربعة عشر حديثا ، أما القرآن الكريم فقد فسر تفسيرا أخرجه عن معناه الأصيل ، ولا أغالي ان قلت ان مايفهم الآن تحت ضوء التفاسير من القرآن لم يكن الاسلام في صدره الأول يعلمه ويدريه . فمن هنا لا أجد بداً من رفض رأي ويلسون كاش وتقرير الواقع في أن الازهر يقوم للدفاع عن الاوضاع الاعتقادية التي اصطلح الجامدون في العالم الاسلامي على أنها الاسلام ، ولقد أبى المتصوفة والمجتهدون من أهل العلم السليم الأخذ بها ، نازعين الى تفاسير جديدة لا يرضى عنها الازهر بل

يعدّ أصحابها فى حكم المراطقه مع أنهم من أخلص خدمة الاسلام ، وبعبارة أخري ان الازهر فى جملته يسند أهل الظاهر وحدهم ، مقاوما العاملين على ايجاد التلاؤم بين نصوص الدين من جهة وبين الدين والعلم من جهة أخري . ويهمنى ان أشير هنا الى مسئلة هامة تتعلق بتفسير القرآن الشريف فانى أعتقد أن تفسيره يرجع الى دراسة دقيقة لمذاهب ذلك العصر وأفكاره مع تعمق فى النواحى الأدبية والتعابير التى كانت تستعمل فى ذلك العصر ، ومع استفاضة بدراسة العوامل الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التى كيفت تاريخ العرب فى زمن الرسالة (أنظر كتابى Islam Tarihi الذي نشرته « جماعة تمحيص التاريخ الشرقى » المجلد الأول)

لقد درست النظم الازهرية وتلقيت جانبا من دروس العربية فى رحابه فيمكننى أن أقول مطمئنا ان كل مايدرس فى الازهر لايخرج عن العكوف على جهد العقول الغيبية ، وكل المعارف الازهرية تمهيدات للقرآن الشريف والحديث ، فدروس الادب واللغة والتاريخ تدرس من حيث هى وسيلة لفهم القرآن والدين ، وانك لو رأيت بعض ضروب المعرفة المنبهة من العلوم قد أخذت طريقها الى مايدرس فى الازهر فى السنين الاخيرة فليس ذلك للعلم من أجل العلم بل لتستخدم كوسيلة لخدمة نصوص الدين ، وياليته يحسن استخدامها مع ذلك . وهكذا يخضع كل شىء فى الازهر للدين . وهذه الروح التقليدية التى ترفرف فى جنبات الازهر لايمكن للعقل الحر أن يحيا فى ظلها ، لهذا لن تقع فى تاريخ المدرسة القديمة على عقل حر ، أى على عقل ثار على تقاليد الماضى ، وخرج على أساطيره ، وان تظاهر لك أنك قد عثرت عليه فما ذلك الا سراب خادع

ان للمدرسة القديمة روحا ثابتة قرارتها الايمان العميق بما أورثته لنا العصور السالفة ، فان خرج بعض أبناء هذه المدرسة عليها فذلك يرجع لطبيعة نفوسهم وما أحاط بها من فواعل الحياة.

فاذا تركت هذه المدرسة للمدرسة الثانية (وتمثلها الجامعة المصرية) وجدت انها نتيجة شعور عميق بالأخذ بأساليب الغرب ، فقد غمر العالم الشرقى بعد ذهاب المدنيه الاسلامية مد من الجمود والتعصب قضى على البقية الباقية من حضارة القرون الوسطى ، وكان طابع مصر طول هذه المدة حتى أواخر القرن التاسع عشر شبيها كل الشبه بذلك الطابع الذى تراه بارزا بين صفحات التاريخ في القرون الوسطى خلا فترات قصيرة فى القرن الاخير أرسلت المدنية الاوربية خلالها شيئا من أشعتها المضيئة النافذة الى أغوار العقلية المصرية ، حيث تحجرت بها أسباب النشوء عن الارتقاء وقعد بها ثبوت ظرف الحياة وأحوالها عن التطور فلم تتغاير . فى هذه الفترة انتقل ميزان المدنية الى الغرب وتمخض القرن السادس عشر عن عصر نهضة فكرية شكت فى الاسلوب التجريدى وأخذت بأساليب التجربة والاستقراء والمشاهدة ، وهكذا تبدل العقل من محض

التأمل النظرى الى اتخاذ أسلوب قيم فى البحث بينما كان الشرق فى ظلام ليله الحالك عاكفا على الاصول القديمة والمماحكات اللغوية والاختلافات المذهبية التى لاطائل تحتها . وتمخضت مدنية الغرب عن الحضارة الميكانيكيه ، وفعلت هذه الحضارة فعلها فى اقتراب العالمين الشرقى والغربى وكانت نتيجة هذا الترابط أن غزا رجال الغرب بلدان الشرق راجين نشر ثقافتهم والتبشير لمعتقداتهم وترويج تجارتهم ونشر لغاتهم

وكان النضال بين هذه الطوائف شديداً ، وكان ذلك فى صالح الشرقيين : فقد أسس المرسلون الأمريكان بيروت كليتهم ، وأسس الفرير معاهدهم بمصر ، واخذت بذور المدنية الغربية على أيديهم تنتقل إلى الشرق . واقترنت هذه الحركة بقيام محمد على فى مصر ومحاولته إقامة امبراطورية على أنقاض امبراطورية آل عثمان ، فأخذ يستمد من الغرب أسسه ليشيد عليها دعائم دولته ، وكان أثر كل هذا كبيراً إذ تنبه الناس من سباتهم وأخذوا ينفضون عنهم غبار الجمود . وكان لمدرسة شبلى شميل المادية فى مصر ويعقوب صروف العلمية أثر كبير فى نشر العلوم الغربية ونقل الثقافة الأوربية إلى الناطقين بالعربية ، هذا إلى أن خريجى البعثات الأوربية وجامعة بيروت أيقظوا فى الشعب شعوراً عميقا بلزوم جامعة لهم يتلقى فيها أبناؤهم مذاهب المعرفة الحديثة ومبادىء العلوم الايجابية وفعل هذا الشعور فعله فكانت جهود كثيرة انتهت إلى تأسيس الجامعة سنة ١٩٠٨ م

أسست الجامعة على شعور بالحرية الفكرية ، إلا أنها لم تقدر على التخلص من آثار العقل اللاهوتى العاكف على التقاليد ، فحالة مصر الاجتماعية وتغلغل التقاليد فى صميم النفسية المصرية كانتا سبباً قويا فى قيام الجامعة قريبة من روح الجماعة المصرية مشوبة بشىء من التقاليد . وهذه التقاليد كانت سببا جوهريا فى تضييق الجو الفكري فى سماء الجامعة — نعم لقد دعت الجامعة فى بدء تكوينها نفراً من الباحثين الغربيين لتدريس العلوم والآداب وعلى أيديهم تخرج نفر من قادة الفكر فى مصر الحديثة . وكان أثر بحوث هؤلاء المستشرقين فى الأدب العربى كبيراً . فقد تحرر طلبة الجامعة من الطريقة القديمة وأخذوا بالطريقة التحليلية العلمية ، كما كان لدروس علماء الغرب فى علوم الطبيعيات والكيمياء والحياة آثار كيفت بعض نواحى العقلية الحديثة على نمط علمى . وما أخذت الجامعة تخطو خطواتها للأمام حتى اصطدمت بعقبة الحرب العظمى وما جرت من عسر مالى فوقع الخلاف بين أعضاء الادارة وظهر الميل الشديد للاقتصاد ، فاستغنى عن كثير من رجال الغرب ، وأضيفت دروسهم إلى أساتذة لم يأخذوا بحظ كبير من الروح العلمية المكونة مدار حجر الرحى فى الفكر الأوربى الحديث ، ورجعت الجامعة إلى الوراء آخذة لنفسها مذهبا وسطا بين مذاهب القدماء التقليدية ونزعات المحدثين الارتقائية

وعقلية الجامعة المصرية تمثل عقلية النهضة الأوربيه التى تظهر لنا من ثنايا التاريخ فى القرن

السادس عشر ، فهى عقلية لم تتخلص من آثار الماضى وإن أخذت بأسس الحاضر

أما المدرسة الثالثة فهى مدرسة التحرير الكامل ، وهى أثر جماعات من شباب العالم العربى ومصر بالثقافة الأوربية وانتهالهم من مواردها الخصبة فاستقام تفكيرهم مع التفكير الغربى فقاموا ينادون بتحرير العقلية المصرية من كل آثار الماضى ووجوب انتحالها لعقلية الغرب . وزعيم هذه المدرسة شبلى شميل الفيلسوف السورى المشهور الذى أحدثت آراؤه أثرا كبيراً فى الحياة الفكرية المصرية . فهو أول من حمل لواء التفكير الحر فى الشرق العربى ونادى بالحرية الفكرية وكون مدرسة فكرية تخرج فيها أمثال اسماعيل مظهر وسلامه موسى وعصام الدين حفنى ناصف وغيرهم من زعماء التجديد الفكرى فى الوقت الحاضر

واسماعيل مظهر يحدثنا صراحة فى مقدمة كتابه (ملقى السبيل) عن تأثير آراء شبلى شميل فيه ، وكذلك تحدث عصام الدين حفنى ناصف فى أحاديثه المختلفة لمعارفه ، وبهذا تكلم سلامه موسى أيضا

والمدرسة الحديثة مدينة بجانب من آرائها لمدرسة المقتطف فعلى صفحاتها عرف الجمهور اسماعيل مظهر وسلامه موسى وغيرهما ، وقد قامت المدرسة الحديثة على مبدأ تلقيح الفكر العربى بنتاج الفكر الأوربى وشاركه فى ذلك سلامه موسى وعصام الدين ناصف . وكانت المدرسة الحديثة فى ذاتها تنقسم إلى ثلاث فرق :

(١) المعتدلين وعلى رأسهم اسماعيل مظهر ، و (٢) المتطرفين وعلى رأسهم سلامه موسى ، و (٣) العدميين وعلى رأسهم عصام الدين حفنى ناصف

ومن أعلام المدرسة الأولى الدكتور زكى أبو شادى ، وقد لخص آراءه فى رسالته المعروفة « مذهبى » . ويصح أن نعده إذا شئنا مؤسساً لمدرسة رابعة مجددة وإن تكن غير متجردة ، فلا هى بالمتطرفة تماما ولا هى بالوسط . وقد كيفت له هذا الموقف نزعته الصوفية العلمية ورغبته المخلصة فى خدمة جمهرة المسلمين بنقلهم إلى نور العلم الصوفى حينما قنع غيره بتجاوزهم والانصراف عنهم . ولولا نكبته المالية كانكب اسماعيل مظهر، ولولا ما لاقاه وما يزال يلاقيه من صنوف المحاربة والكيد لكانت لجهوده الدينية الاصلاحية ثمرات فوق ما لها من ثمرات الى جانب ما أثمرته جهوده الأدبية فى الفن الشعرى والنقد الأدبى والدراسات الانسانية ، وقد نوه بذلك خليل مطران بك والدكتور على العنانى والدكتور زكى مبارك وغيرهم

انصرفت جهود المعتدلين الى البحث العلمى والتدقيق بينما ذهب المتطرفون إلى قومية لم يعرف التاريخ الحديث حركات أشد منها فى مصر ، أما العدميون فضوا للاصلاح الاجتماعى وانصرفوا

له . ولكن حدث ما ذهب بقوة المدرسة الحديثة فقد أصيبت جماعة المعتدلين بنكبة يوم تعطلت مجلة « العصور » منبرها وتكسر قلم زعيمها بعد ما أصيب بخسارة مالية جسيمة ويوم قدم عصام الدين حفني ناصف للمحاكمة بتهمة الشيوعية ، ويوم تنكرت الايام لسلامة موسى فأخذ يعاني مجهوداً كبيرا فى للمثابرة على زعامة المدرسة

كان ذلك كله عام ١٩٣١

ولم يكن لذلك من سبب إلا أن المدرسة الحديثة لم تقم على شعور طبيعى فى جماعة تؤمن بها حتى تدافع عن نفسها ، وانما قامت على شعور أفراده ، ولم تلق من نجاح إلا بقدر ما لاقت من قبول لدى الجمهور ، حتى أنه لما قامت مدرسة التحرير الأدبى عام ١٩٣١ على يد الدكتور أحمد زكى أبي شادى لم تتمكن رغم كفاحه وصلابته من الحياة أكثر من ثلاثة أعوام . فهنا جميع الحركات التجديدية فاشلة لانها لا تقوم على شعور طبيعى ومعاضدة بين المفكرين الاحرار وان لم يناف ذلك نموذ أثرها بمرور الزمن . ولا عبرة باستمرار جهود الدكتور زكى أبى شادي ، فهذه مستمدة من شخصيته القوية وايمانه الراسخ ومن حيويته الفذة ، وليست مستمدة من التساند المدرسى أو الوفاء التام لها « أنظر كتاب Abushady: ThePoet لصاحب هذا المقال »

وانى أنتهز هذه الفرصة لادعو المفكرين الاحرار فى العالم العربى وفى مصر خاصه لتأسيس ندوة تجمع شملهم وتدافع عن قضيتهم العادلة وتعرف الحكومه موقفها الطبيعى أزاءهم فى احترامهم وتعمل على خلق جيل يشعر بالحياة الحرة ويعمل على ادماج مصر فى الاسرة المتحضرة العالمية



الحركة الرومانتية والأدب العربي

لسلامة موسى

ما هى الحركة الرومانتية ولماذا يحتاج اليها أدبنا العربى ؟

المشهور فى تاريخ الآداب الأوربية أن الحركة الرومانتية ابتدأت سنة ١٧٦٠ وماتت سنة ١٨٦٠ ولكن هذه الأرقام ليست حسابية بل تقريبية فان هذه الحركة احتاجت إلى نحو قرن اختمرت فيه قبل أن تظهر . كما أنها لم تمت حتى وقتنا هذا موتاً أكيداً . وانما تعين التواريخ بالأرقام لكى تساعدنا على الفهم فقط

وذلك أنه عقب النهضة الأوربية ساد العقل وأصبح الدرس مرانة عقلية شاقة . وتجرد الذهن أو حاول ان يتجرد من أساطير القرون الوسطى وزخارف العقائد والخرافات ومضت ثلاثة قرون على هذه المرانة العقلية بما فيها من قسوة النظر المنطقى وجموده ، فلما كان منتصف القرن الثامن عشر سئم الناس هذا النظر العقلى الشاق . فكانت الثورة الرومانتية . ولهذه اللفظة ملابسات أولى لا تشرفها ولكنها تبين اتجاه التفكير فى بداية الحركة . فانها كانت تعنى فى أول ظهورها الخطأ العلمى أو المنطقى أو الاندفاع وراء الخيال والأساطير . ثم ارتقت بعد ذلك إلى الايمان بالعواطف والاكبار من شأن الاحساس ازاء العقل . فاذا كنت رومانتيا فأنت حساس أكثر مما أنت عاقل . أو أنت تحترم عواطفك وان كنت لا تحتقر عقلك . ثم اشتبكت الحركة بملابسات جديدة . فكما أنها ثورة العواطف على العقل كذلك هى ثورة الشخصية على القواعد والتقاليد . فان الأديب الذى كان يقول لنفسه : لماذا لا أحترم احساسى ازاء عقلى قد أصبح يقول :



جان جاك روسو زعيم الحركة الرومانتية فى الآداب الاوربية

لماذا لا أحترم شخصيتي ازاء هذه القواعد والتقاليد التي ورثناها؟

وتعد سنة ١٧٦٠ الافتتاح الرسمي للحركة الرومانتية لأن جان جاك روسو اندفع يؤلف كتبه المشهورة مثل « اميل » وكيف يجب أن يعنى فيه بالاحساس. وكيف ان العلم أضر بالناس. وكيف أن الحضارة وقواعد الاجتماع تعوقان السعادة وان العودة إلى الطبيعة يجب أن تكون مفتاحا إلى السعادة. ومن هنا كبر شأن الحال الفطرية والرجل البدائي ازاء الحال المدنية والرجل المتمدن.

بل رأينا بعد ذلك في سان بيير وغيره من يصفون عيشة الرجل البدائي كأنها النعيم الذي ضاع من المتمدنين بمدنيتهم. والدعوة إلى الطبيعة تعني في بعض معانيها كراهة التصنع بل كراهة الثقافة كما تعني كراهة القيود الاجتماعية أو القيود التي يقول بها العقل ثم هي بعد ذلك ثورة على النهضة نفسها ولذلك رأيناها في بعض الأحايين تقف في صف القرون الوسطى وأساطيرها الجميلة وعقائدها الحلوة ازاء النهضة المقيدة بالعقل وقواعد المنطق

ومتى ثار الأديب على المنطق والعلم والعقل وقواعد الاجتماع وقيود المدنية فانه يعود رومانتيا يدعو إلى الانطلاق من جميع هذه القيود. ولكن أين تكون مرساته التي يرسو اليها في هذه الفوضى؟

تكون في الشخصية الانسانية التي يجب أن تحترم. فالرجل العامي الذي لم يتعلم يرتفع هنا إلى مقام العالم. والشاب الذي يندفع في نزوات الشباب له قيمته ازاء العقلاء الذين يحترمون العرف. ومن هنا مؤلفات روسو. واندفاعات بيرون ونزوات شيلي. والاحساس المكبر في الآم فيرتر وتأملات لا مارتين. بل من هنا قصص سكوت عن القرون الوسطى

والآن ما شأن هذا الكلام والادب العربي؟

شأنه كبير جداً فان الادب العربي الحديث في أمر الثقافة العربية مقيد بقواعدها سواء منها قواعد اللغة والنحو أم قواعد الطريقة في الدرس والتثقف أم اختيار الاخيلة والاساليب بل اختيار الموضوعات

وقد جمدت الحركة الادبية لهذا السبب وهي أجمد ما تكون عند أولئك المنغمسين في الثقافة العربية القديمة الذين يحترمون قواعدها مثل الرافعي والزيات وخريجي دار العلوم. ولكن معظم أدبائنا لا يزالون في هذا الامر. فان العقاد والمازني بل وأيضا طه حسين، يكتبون — بالحرف أو بالروح — كما كان يكتب أدباء الدولة العباسية. وهم لهذا السبب عرفيون في نظرهم الاجتماعي كما هم عرفيون في أسلوبهم الكتابي مع فروق واختلافات قد قهروا عليها لاثر البيئة فيهم. ويمكن أن نعد انشاء المجمع اللغوي بهيئته ونظامه الحاضرين برهانا على أننا بلغنا درجة التحجر في الادب التقليدي

ولست انصح بإيجاد حركة رومانتية فى الادب العربى فان مثل هـذه الحركة يجب أن تكون مولودة وليست متبناة . أى يجب أن نجد دوافعها الاصلية فى أعصابها وعقلها الباطن ولبيدها أى بخارها المحبوس . ونحن الآن فى حال مظلمة تجعلنا أحيانا نفضل الجهل على الثقافة . بل وجدنا ما يبرر هذا التفضيل . فان الاغنية التى يؤلفها الفلاح الامى خير من القصيدة التى يؤلفها شاعر مثقف من شعرائنا المتحجرين . وهؤلاء الادباء السوريون الذين يعيشون فى أمريكا قد استطاعوا أن يبرّزوا فى الانتاج وكادوا يكونون رومانتيين لانهم جهلوا الثقافة العربية أو هم لم ينغمسوا فيها إلى حد التقيد بها لأنهم بعيدون عن البيئة الثقافية العربية أرضاً وروحا . والأدباء المسيحيون فى الشرق العربى كله يفضلون الأدباء المسلمين من هذه الناحية أي انهم لا ينغمسون الانغماس التام فى الثقافة العربية فلا يتقمصون روحها ولذلك تسهل عليهم النظرة البكر ونبذ العرف والتقاليد . وهنا أذكر فرح أنطون الذى كاد يحدث نهضة فى العالم العربى بابتكاراته فى ألوان مختلفة من النشاط الأدبى . والغريب ان أعظم ما ينتقد عليه إلى الآن قلة دراسته للغة العربية . ولكن هؤلاء الناقدين ينسون انه التفت إلى داعية الحركة الرومانتية فى أوربا وهو جان جاك روسو ونقل بعض مؤلفاته كما نقل بعض قصص سان بيير ولو أنه كان منغمسا فى الثقافة العربية لما التفت اليها

ولكن هل بعد كل هذا نقول أن الأدب العربى خلو من الحركة الرومانتية ؟

فالجواب على هذا السؤال هو النفى . فان فى توفيق الحكيم شيئا من هذه النزعة الرومانتية . وهو من هذه الناحية يقاطب مصطفى الرافعى . فان توفيق الحكيم سواء بالموضوع الذى يختاره أم بالطريقة التى يعالجه بها أم بالنزعة الفنية بعيد البعد كله عن الثقافة العربية كأنه لم يقرأ قط كتابا عربيا . أما الرافعى فمجموعة من التقاليد والقواعد العربية المتحجرة . بل نزيد على ذلك ونقول ان النظرة البكر التى نظر بها هيكل وطه حسين لنبى الاسلام تدل على نزعة رومانتية الى حد ما . وقد شرعنا نجد مثل هذه النزعة فى المازنى الذى يحبب الينا نظر الاطفال للدنيا . ولكن المازنى وطه حسين والعقاد وغيرهم قد أفسدتهم الثقافة العربية افساداً عظيما وفرضت على أذهانهم بل نفوسهم ضرائب باهظة

الجرار المصرية وملكة رومانيا

ان الخزف فى بلادنا المصرية منتشر فى كل مكان ، ولكنا لا نتخذه وسيلة لتعليم بناتنا ، وبنينا مالاتعلمه الكتب ، ويقول علماء التربية انه ينبغى أن يكون للعقول أيد . كما ينبغى أن تكون للأيدى عقول . ومعنى هذا أن المبادىء العقلية وحدها لا تكفى ، بل يجب أن تتسرب الى الايدى حتى تعمل . ولا أزيد القارىء تأكيدا أن البنت تتعلم من صناعة الخزف مثلا ، الرسم والنقش وحب العمل والصبر والدقة والذوق السليم وحب الجمال وعدم احتقار الاعمال الصغيرة اليدوية وعدم الترفع عن الأعمال المنزلية ، أيا كانت الخ

منذ بضعة أشهر افتتح مخزن صغير جدا للتحف فى أحد ميادين القاهرة وأجملها ، وكان ابدع هذه التحف مصابيح كهربائية نصبت على أوعية من الخزف . وبعد البحث عن صانعى هذه المصابيح وجدت أن سيدة روسية اتخذت بضع فتيات لنقش بعض الأوانى الخزفية المصرية طبق رسوم وضعتها لهن . ولا يمكن أن يصدق الرائى بعد مشاهدة هذه الأوانى المنقوشة بالالوان ، المنمقة بالزخارف . انها عين الاوانى المصرية التى يصنعها صناع الفخار الفلاحون المساكين

منذ بضعة أيام سألت أحد تجار العاديات فى الوجه القبلى عن نوع الاشياء التى اشترتها ملكة رومانيا وكريمتها ، فاجاب أنها اعجبت بجميع التحف والمصنوعات المصرية ، وابتاعت عشرة «جرار» من البلينا ، وقد حمل المدير جرة وحكمدار البوليس جرة والمأمور جرة ومعاون البوليس جرة الى الباخرة النيلية التى كانت تقلهما ، وكان منظر الجرار مضحكا . وقد كان « جرة » العسل الخالية من العسل موضع الحسد من الجميع لأنها حظيت بهذا الشرف العظيم . وعند عودتى إلى القاهرة سألت بعض العارفين والعارفات الحكمة فى اختيار الجرار ، فقيل لى انها وجميع الأوانى الخزفية فى مصر على خشونتها وعدم تعدد أشكالها ، تصلح للنقش والزخرفة على سطحها ، مما يجعلها أوانى بديعة للزينة

ا . ب .

قصة النزاع بين البيض والسود

للاستاذ نقولا يوسف

في مقدمة النقط التي يتلاقى عندها العلم والدين ماتقول به نظرية التطور أن الناس كلهم من صل واحد . إذ الأرجح أن يكون هناك نوع بشرى واحد بدأ ظهوره في آسيا أو في غيرها بعد أن قطعت الأحياء شوطا بعيدا في سلم التطور .. ثم حدث التنوع والاختلاف بين البشر باختلاف اتجاه الجماعات وتباين البقاع التي استوطنوها أزمانا طويلة .. إذ أن للبيئة الطبيعية كما لا يخفى وما بتلك البيئة من مؤثرات المناخ والغذاء وأسلوب العيش وغيرها أثرا بالغا في تكييف الأجسام وتنوع الألوان . كما أن لها أثرها في العادات والخلق .. وبذلك تنوعت السلالات البشرية وظهر بينها أقوام من البيض والسود والصفر والحمر ، ويرجع ذلك التنوع الى ماقبل تاريخ الانسان المعروف بزمن يترامى في القدم

أما السود فهم الذين لوحت شمس المنطقة الحارة بشرتهم وميزتهم الاعتبارات الجسدية الوراثية عن غيرهم ، وحالت مؤثرات بيئتهم وعزلتها بينهم وبين التحضر والاندماج في الامم ، وكان لذلك الرزق الميسور الذي تفيض به الغابات والمراعي حولهم ، وماللك الجو المرهق الشديد الحرارة ماحملهم على التراخي في الكد أو التفنن في التماس سبل العيش أو الاهتمام بالمستقبل . فهم يعيشون في الحاضر قانعين بالكفاف ، يحيون حياة ساذجة فطرية مستسلمين للمقادير ، معللين الظواهر الطبيعية بالسحر وفعل الأرواح

ويقال ان عدد الزنوج يزيد اليوم على ١٢٠ مليونا ، منهم من يعيش على الصيد والقنص ومنهم من يحترف الزراعة أو الماشية ، ومنهم من تحضر وبذ البيض في الرقي والثقافة مثل القليل من زنوج الولايات المتحدة الامريكية

ويستوطن الزنوج بعض أنحاء المنطقة الحارة في أفريقيا وجنوب آسيا ويعيش منهم نحو خمسة عشر مليونا في أميركا وهؤلاء يرجع أصلهم الى افريقيا

« * »

أما زنوج أفريقيا فسلالات مختلفة يجمع بينها سواد اللون . ومن أشهر السلالات السوداء .

سلالة السود الطوال القامة ، المستطيلو الرأس ، الغليظو الشفة ، الفطس الأنوف المفلفلو الشعر ، الذين يقطنون المنطقة الممتدة من المحيط الأطلنطى إلى أعالى النيل .. والأقزام العائشون فى حوض الكنغو ... والبانتو وهم الخليط من السود والحاميين القدماء المنتشرون فى الهضبة الجنوبية من أفريقيا وهم أذكياء قابلون للرقى ... والبشمان والهوتنتوت الساكنون صحراء كلهارى والآخذون فى الانقراض ... ثم الفولة والزندة وهم نتيجة اختلاطهم مع الأحباش والحاميين ... ثم الأحباش ويسكنون ارتريا والصومال واتيوبيا وهم خليط من السود والحاميين ولقبوا بالأحباش لاختلاطهم

وزنوج أفريقيا بل جميع زنوج العالم تحكمهم وتسودهم الشعوب البيضاء ، بما فى ذلك جمهورية ليبريا بغرب أفريقيا التى أسستها الولايات المتحدة الامريكية ليهاجر اليها زنوجها اذا شاءوا الاستقلال والبعد عن المشاكل .. وهذه الجمهورية تخضع فى الواقع للحماية الامريكية وليس لها من الاستقلال إلا الاسم . وكانت الحبشة ، حتى العام الماضى الدولة التى يستقل بها العنصر الاسود ثم خضعت أخيرا لحكم البيض كما هو معروف

وقد نشأ عن سيادة الشعوب البيضاء على الشعوب السوداء مشاكل ، منها ما ظهر منذ أكثر من قرن كما حدث فى أمريكا وجنوب افريقيا وجنوب آسيا ، ومنها ما لم يزل يحدث حتى الساعة حيث تصطدم مصالح البيض مع مصالح السود .. ومنها تلك المشاكل التى لابد أن يتمخض عنها المستقبل حينما ترتقى العناصر السوداء وتتثقف وتقوى فلا تعود ترضى بالذل ولا بالاستعباد

وتتلخص المشاكل الجنسية بافريقيا فيما يلى :

أولا — علاقة البيض بالسود بافريقيا الجنوبية . فمنذ نحو ثلاثة قرون استعمر الهولنديون جنوبى أفريقيا وكان جل أهله من قبائل البانتو والبشمان والهوتنتوت . فاضطرت تلك القبائل إلى الرحيل نحو الشمال تدريجيا أمام الغزاة من البيض .. ثم أخذت تلك القبائل تتكاثر على مر السنين وتزداد صلة بمدنية البيض ، فظهرت مشكلة أقلية بيضاء مستعمرة تحكم أكثرية سوداء

وكان لحرارة الجو أن اضطر البيض هنالك الى الاستعانة بالسود ليعملوا فى المناجم وفى غيرها من الأعمال التى تتطلب مجهودا ، ولكن سرعان ما اتضح للبيض أن أكثرية هؤلاء الزنوج لاتميل إلى الأعمال المرهقة التى تقتضيها مصالحهم ، فأخذوا يجلبون كثيرين من عمال افريقيا الشرقية البرتغالية ، فزاد ذلك فى المشكلة الاقتصادية الجنسية فى جنوب افريقيا . وما زالت النار هناك مختفية تحت الهشيم

ثم أن بين البوير البيض وهم أول من استعمر تلك الجهات وبين الانجليز الذين ضموا جنوب أفريقيا الى امبراطوريتهم نفورا قديما واختلافات شتى . وهؤلاء البوير يحترفون الزراعة ويقتنون الرقيق الأسود ليعمل فى مزارعهم ، والانجليز يحاربون مبدأ الرقيق ويعملون على القضاء عليه

ثانيا — خلقت غزوة ايطاليا للبلاد الحبشية رغبة فى استعمارها مشكلا جنسيا جديدا سوف تظهر آثاره فى مستقبل الأيام . فان الأحباش وعددهم اليوم نحو اثنى عشر مليونا ويجانبهم أهل الصومال وارتريا وكلهم من جنس أسود متشابه يحكمه البيض، سوف يتصلون بهذه الغزوة مع العالم المتمدين وسيكون مثلهم معها مثل شعب المصرى حين فاجأته الحملة الفرنسية بحضارة جديدة ومبادىء جديدة فظهرت فيه لأول مرة فى تاريخه الحديث يقظة عامة أهم مظاهرها قوة الرأي العام .. أضف إلى ذلك أن الأحباش سيزيد عددهم على مر السنين وسيزداد عدد المتعلمين والزعماء المثقفين بالثقافة الاوربية بينهم . ثم يقومون كغيرهم من الشعوب المستعبدة بالثورة فى وجه الغاصب مطالبين بالحرية والاستقلال

وفى الشهر الماضى نشرت الصحف البرقية الآتية : « رومة فى ١٧ يناير — يؤخذ من تفاصيل قرار الوزارة الايطالية الأخير والمختص بصيانة النسل ، ورغبة فى حفظ الجنس الايطالى ، ان الايطاليين الذين يتزوجون أو يعاشرون نساء من السود فى مستعمرات ايطاليا بشرق أفريقيا يتعرضون لعقوبة السجن مدة تتراوح من سنة الى خمس سنين . ويقول القرار ان هذه العقوبة تطبق على ذلك النفر من الايطاليين الذين يختارون عشيرات لهم من النساء السود ناسين بذلك كل شعور بالكرامة والوجدان السياسى ! »

ولا بد أن الايطاليين يقلدون فى ذلك مافعلته المانيا أخيراً حين سنت قوانين نورمبرج وغيرها لتحفظ النسل الألمانى وما جاء فى كتاب هتلر المسمى « كفاحى » بشأن تنقية الدم الألمانى من جميع العناصر الغريبة عنه لأنها فى نظره أدنى منه

ومن ذلك يفهم أن الايطاليين سيعملون على الفصل بين العنصرين الأسود والأبيض وسيقاومون اندماجهما وامتزاجهما ليبقى جنسها الأبيض الحاكم متميزاً إلى الأبد ولو أن بقاءه إلى الأبد بعيد التحقيق . وبهذا العمل يظل المشكل الجنسى حياً . وكان من صالح السلم ومن مصلحة البشرية التى لاتميز بين الأجناس والألوان لو اندمج العنصران كما حدث بين الهنود الحمر الامريكيين وبين الغزاة البيض لاسيما من البرتغاليين والاسبانيين ، حيث قضى الامتزاج على الفوارق الجنسية وخرج منه عنصر قوى جديد . فالبرازيليون اليوم هم نتيجة الاختلاط بين البرتغاليين والهنود

الحمر والافريقيين السود . وفى شيلى تبلغ نسبة العنصر الخليط نحو ستين فى المـاية وفى بيرو نحو ٣٥ فى المائة

وثمة نتيجة أخرى لغزوة ايطاليا للحبشة هى اثارة الأحقاد الـكامنة فى كل بلاد السود بل فى كل بلاد الشرق التى يستعمرها الأوربيون نحو السادة البيض . وهذه الأحقاد لا تظهر الآن خشية الرصاص ولـكنها ستبقى ناراً كامنة تحت الرماد إلى أن يأتى الوقت المناسب لشبوبها وقد رأت تلك الشعوب المستعبدة أن عصبة الأمم لم تقوعلى كبح جماح ايطاليا وأنها إذا شاءت الحرية فلن تستردها إلا بقوتها واعتمادها على نفسها

ثالثاً — كان من جراء استعمار الأوربيين للقارة الافريقية وتجنيدهم السود وارسالهم إلى الميادين الأوربية ثم ارسال البعثات الدينية والتعليمية والآلات ومظاهر الحضارة اليهم أن تفتحت عيون تلك الشعوب المتأخرة ورأوا الجنس الأبيض فى قوته وضعفه ، ومهما كانت هذه اليقظة الأولى صغيرة فانها مقدمة لمشكل مستقبل يوم يطلب السود المساواة مع سادتهم البيض أولا فى كافة الحقوق ثم يعملون على التحرر من عبوديتهم أخيرا وقد بدأنا نسمع اليوم بمسألة الجامعة السوداء التى ينادى بها بعض السود المتعلمين

« * »

أما زنوج آسيا فيقطنون اليوم جنوب الهند وجزر الهند الشرقية وتوجد أقلية منهم باستراليا وقد كانوا فى الزمن القديم يستوطنون معظم آسيا الجنوبية ثم اندمج الـكثيرون منهم فى الأجناس الأخرى كما حدث فى فارس والهند وغيرها

أما فى الهند فما زال السود ذوو الشعور المجعدة والذين يشبهون السود الافريقيين موجودين جنوبها .. ويعتبر السود فى الهند الصينيه وشبه جزيرة ملقا السكان الأصليين لتلك البلاد ، وما زال هناك منهم كثيرون كما أنهم يكثرون بجزر الهند الشرقية

أما فى استراليا فقد أخذ السود فى الانقراض وقد لا يزيد عددهم هناك على خمسين الفا يعيشون فى الجهات القاحلة من أواسط القارة وشمالها الغربى فى حالة فطرية منحطة

وهؤلاء السود الأسيويون والاستراليون مشتتون فى ظل الاستعمار الأوربى وليس أمامهم غير الاندماج فى الاجناس الاخرى تدريجيا

« * »

أما زنوج الولايات المتحدة الامريكية الذين يبلغ عددهم اليوم نحو خمسة عشر مليونا فان لعلاقتهم بالبيض قصة طويلة تمثل شطراً هاما من تاريخ الولايات المتحدة الامريكيه وخلاصة هـذه

القصة كما ذكرتها مراجع ذلك التاريخ هى كما يلى :

بعد أن ذاع اكتشاف اميركا أخذت جموع المهاجرين الاوربيين تتدفق نحوها من كل صوب . وأخذوا يؤسسون المستعمرات . وسرعان ما اتسعت هذه المستعمرات وتوغلت من الشواطىء الى داخل البلاد وامتدت من شمالها إلى جنوبها . ولما سيطر الانجليز على الجزء المعروف اليوم بالولايات المتحدة ازدادت المستعمرات اتساعا ولكنها لم تكن متشابهة من الناحية الجغرافية اذ كانت الجهات الشمالية أكثر ملاءمة لسكنى المهاجرين لان مناخها شبيه بمناخ أوربا وكانوا يزرعون بها الحبوب ويربون الاغنام بينما كان الجنوب شديد الحرارة يعتمد أهله على زراعة الدخان والقطن والقصب. فأراد مستعمرو تلك الجهات الجنوبية تسخير الهنود الحمر فى الاشتغال بمزارعهم فلم ينجحوا فى ذلك فلجأوا إلى استيراد الزنوج من افريقيا وكان الجو ملائما هؤلاء الزنوج فتكاثروا ونشأت بذلك مسألة الرقيق الاسود

ولما ثارت تلك المستعمرات فى وجه انجلترا وحاربتها متحدة بقيادة وشنطن ثم انتهت حرب الاستقلال عام ١٧٨١ واعترفت انجلترا باستقلالها ، أخذ أهل تلك الولايات المتحدة يتحمسون للاصلاح وللمبادىء الديموقراطية ولم يشذ عن خطط الاصلاح الا مسألة حار الجميع فى حلها بالرغم من مقتهم لها وتلك هى مسألة استرقاق الزنوج . فان الرق لم يكن لازما لنظام الحياة اليومية فى الولايات الشمالية ولا يؤثر الغاؤه فى حالتها الاقتصادية بينما كان نصف سكان الجنوب من الرقيق الذين تتوقف على أعمالهم موارد الثروة . ولو الغى الرق يومئذ فى الجنوب لحدث انقلاب صناعى خطير

ولما عقد مشرعو أميركا وزعماؤها مؤتمراً فى فيلادلفيا برياسة وشنطن لوضع دستور للبلاد ظهر فى أثناء مناقشاته الاختلاف بين الشمال والجنوب فى مسألة حق الانتخاب النواب إذ كان من رأى الجنوب أن يكون لجميع الارقاء السود هذا الحق بينما يري الشمال قصره على الأحرار وأخيرا اتفقا على أن يشترك ثلاثة أخماس الرقيق فى الانتخاب . كما اتفقا على اقتراح الجنوب فى رد الآبق إلى مقاطعة حرة إلى سيده ثانية . وكذلك اتفقا على بقاء الاتجار بالرقيق عشرين سنة أخرى ثم يعدل الامر فيما بعد

وتقول مراجع تاريخ الولايات المتحدة أن المؤتمرين خشوا أن تتهمهم الاجيال المقبلة باقرار الرق فلم يذكروا لفظ رق ولا رقيق فى الدستور . بل رمزوا إلى ذلك بلفظ أشخاص مطالبين بخدمة أو عمل . والواقع أنهم كانوا يعملون بحكم ظروف قهرية على أمل أن تتغير هذه الظروف فى تطور الحضارة على مر السنين

ثم بدأ الرق الاسود يزول بالتدريج من بعض ولايات الشمال وبدأت المناقشات فى أمر الغاء

الرق يتسع نطاقها ، ولكن بعض ولايات الجنوب هددت بالانفصال عن الاتحاد اذا ألغى بها الرق فعمد بعض الزعماء الى التوفيق بين الولايات بان جعلوا احد خطوط الطول فاصلا بين الحرية والرق ، ثم قسموا الولايات الى حرة وأخرى تبيح الرق

الا أن ذلك الرق الاسود الذي زعم المصلحون الامريكيون أنه سيزول بتقدم الزمن ما لبث أن اعتاده ضمير الانسان وأصبح شراً عاديا لابد منه . ثم زادت أهمية الرقيق من الوجهة الاقتصادية حينما اتسع نطاق زراعة القطن فى الولايات الجنوبية وزاد تصديره الى اوربا فكثرت الأرباح وأفاد تجار الغلال منها أيضا

وبذلك تشبث أهل الولايات الجنوبية بمبدأ الرق وزاد فى عنادهم ظهور جمعيات اصلاحية بين أهل الشمال أسسها وليم جاريسون أخذت تنادى بعتق العبيد وترى فى الرق جرما لايليق بانسان شريف . وكانت المسز هاو قد نشرت قصة بعنوان « كوخ العم توم » وصفت فيها مايلاقيه الأرقاء من فظائع السادة . فأثرت هذه القصة وأمثالها فى نظرة الناس الى الرق وسن بعض ولايات الشمال قوانين للحرية الشخصية واقترح كلاى أن يكون الفصل فى مسائل الآبقين لمحاكم الاتحاد والحكومة العليا . وارتاب ابراهام لنكولن فى امكان بقاء اتحاد يؤسس نصفه على الحرية والآخر على الرق ولكنه لم يرغب فى الغاء الرق مرة واحدة بل رأى أن تعالج مسائله على اعتبار أنه خطأ

وفى هذا الوقت ظهرت قضية الزنجى « دريد سكوت » وكان للحكم فيها شأن أثار الخواطر فقد كان هـذا الزنجى عبدا لطبيب انتقل معه الى ولاية حرة وأقام معه زمنا ، ولما عاد الى وطنه وهو ولاية رق رفع أمره الى المحكمة طالبا العتق لانه انتقل الى ولاية حرة ولكن المحكمة حكمت فى هذه القضية لصالح سيده وأصدرت قرارين هامين جاء فى أولهما أن الرقيق لايعتبر مواطنا أمريكيا ولذا لايحق له أن يتقاضى أمام محكمة أمريكية . وجاء فى ثانيهما أن الدستور يخول للسيد الاحتفاظ بعبده فى جميع جهات الولايات المتحدة وليس فى قدرة المؤتمر أن يلغى هذا الحق

نخشى لنكولن من حيثيات هذا الحكم أن يفهم الشعب أن الرق صواب ورأى أن هذا المبدأ يساعد على انتشار الرق فى الولايات الحرة

وما هو أن انتخب لنكولن رئيسا للولايات المتحدة عام ١٨٦١ حتى استاء أهل الجنوب وجاهروا بالعصيان والانفصال وكونوا دولة اتحادية انتخبوا جفرسون رئيسا لها وتطاير شرر الحرب الأهلية . ثم بدأت الحرب بين أهل الشمال والجنوب واتسع نطاقها وانتهت أخيرا بفوز الشمال عام ١٨٦٥ بعد أن قتل فى معاركها نحو مليون وأصيب اكثر من نصف مليون باصابات مختلفة

وكان من نتائج تلك الحرب الأهلية أن محى الرق باعتراف أهل الجنوب أنفسهم ، وأدخل على الدستور تعديل يقضى بتحريم الرق فى جميع الولايات المتحدة الأمريكية

إلا أن الغاء الرق لم يحل معضلة الزنوج بامريكا . وكان لنكولن يبذل جهده فى حل تلك المشكلة ، ولما لم ير امكان اختلاط البيض بالسود تتطلع الى ارجاع الزنوج الى وطنهم الأصلى افريقيا

وعقد مؤتمرا للاتحاد وقرر قانون الحقوق المدنية الذى بمقتضاه لايحاكم المعتوق إلا أمام محاكم الاتحاد دون محاكم الولايات ونص هذا التعديل فى الدستور على أن جميع الأشخاص المولودين أو المستجلبين فى الولايات المتحدة والخاضعين لقوانينها لهم جميع الحقوق المدنية فى الاتحاد . وليس لولاية أن تقلل من هذه الحقوق . وهكذا منح الزنوج كلهم حق الانتخاب وأصبحت اكثرية الناخبين فى الجنوب من الزنوج الذين لايدرون شيئا من تلك الحقوق المدنية بينما حرم كثيرون من البيض حق الانتخاب لأسباب تافهة . .

وكان ذلك سببا لانتقال عصابات سياسية من الشمال إلى الجنوب لتحريض الزنوج على الانتقام من البيض حتى أصبحت كل أسرة من البيض مهددة فى عرضها أو مالها فقام من البيض عصابات سرية لارهاب الزنوج أشهرها جمعية كوكلوكس كلان التى كانت تنذر زعماء المحرضين من بيض وسود وتقتلهم ان لم يرتدعوا . وبدأ البيض يتغلبون على الزنوج حتى قضوا على نفوذهم فى الجنوب ولم يأت عام ١٨٧٦ حتى أصبح أمر جميع الولايات بيد السكان البيض

تلك نبذة مقتبسة من تاريخ الولايات المتحدة حيث كان ولم يزل للعلاقة بين البيض والسود قصة طويلة يضيق المقام عن الافاضة فيها

* * *

ولكن الزنوج ما زالوا بأمريكا وعددهم اليوم يقرب من عدد سكان القطر المصرى كله وقد امتزج بعضهم بالدم الغربى فى تلك الاقامة الطويلة مدة ثلاثة قرون وهم يتكلمون الانجليزية ويدينون بالمسيحية ونجح الكثيرون منهم فى الأعمال الاقتصادية والفنية وصار منهم الأطباء والمعلمون والمحامون والقسوس وغيرهم . إلا أن معضلة الزنوج مازالت تبدو هناك بمختلف الأشكال فثمة عزلة تامة بين العنصرين ونفور قديم وفظائع ترتكب من حين لآخر ضد الزنوج . وثمة محاولة بيض الجنوب فى أثناء الانتخابات سد كل ثغرة ينفذ منها الزنوج إلى الحكم وقد يطبق البيض عليهم الطرق القديمة التى سنها قانون لنش الزنجى الذى اعتدى على فتاة بيضاء أو ارتكب جريمة حتى قبل محاكمته . ثم ان الزنجى الأمريكى يزاول هناك معظم الأعمال الحقيرة والمهن التى يعافها الابيض . ومع أن الدستور الأمريكى يساوي بين جميع أفراد الشعب الامريكى من حيث الحقوق والواجبات فان بعض الولايات الجنوبية مثل نيو أورليانس مثلا قد سنت لوائح داخلية تمنع تجاور البيض والسود ولو أن المعروف هناك أن قوانين الفصل بين السود والبيض تخالف روح الدستور الأمريكى . وفى سنة ١٩٢٤ سنت ولاية نيو أورليانس قانونا جديداً ينص على أنه لايجوز

لرجل أبيض أن يتخذ له مسكنا في حي أسود ولا لرجل أسود أن يتخذ سكنا في حي أبيض

وقد نشأ عن قوانين الفصل التي سنتها بعض الولايات الجنوبية بعض المشاكل الفردية والقضايا ولكن محكمة الاستئناف العليا الامريكية وهي أعلى محاكم الولايات المتحدة أصدرت في قضيتين متشابهتين حكمها مؤيداً للدستور الامريكي ومما جاء في هذا الحكم أنه ليس لأية ولاية أن تسن قانونا يفصل بين العنصرين فصلا صريحا واذا كانت بعض الولايات الامريكية قد سنت قوانين من هذا القبيل فلا شك أنها قد جاوزت حدود سلطتها وخالفت نص الدستور وكان من الطبيعي أن يسبب مثل هذا الحكم مناقشات عنيفة في الصحف الامريكية وجدالا بين صحف الولايات الشمالية والجنوبية

حتى في هذا الشهر (فبراير ١٩٣٧) نشرت الصحف البرقية التالية : « أعلنت دائرة أمانة السر في البيت الابيض أن الرئيس روزفلت أشار باجراء تحقيق في أسباب رسوب الطالب الزنجي جونسون في امتحانات الخروج التي أجراها في مدرسة البوليس البحرية . ومعلوم ان جونسون كان الزنجي الوحيد الذي سمح له بدخول هذه المدرسة منذ عام ١٨٧٤ وكانت دروسه تدل على فوزه المنتظر لكنه مع ذلك رسب ودعي الى الخروج من الصفوف والرئيس روزفلت لا يريد أن تتطرف التعصبات العنصرية السقيمة إلى الدوائر المدرسية والجامعية ولا سيما الحربية »

وتعود أسباب ذلك النفور الوراثي المستحكم بين السود والبيض بأمريكا إلى عدة أسباب أولها . أن الزنجي إذا تزوج من فتاة بيضاء جاء نسلهما أبيض أو أسود أو وسطا بينهما فاذا تزوج أحد الامريكان البيض من ابنة الزنجي البيضاء قد يجيء من نسلهما سلالة سوداء طبقا لقوانين الوراثة . وثانيها : أن العامل الزنجي يرضى بالأجر القليل الذي لا يرضى به العامل الابيض فيفصله صاحب العمل إذا أراد الاقتصاد وفي ذلك غرم على البيض . وثالثها . أن الزنجي لا يعمل بمبدأ تحديد النسل فيكثر من الاولاد ولا يستطيع تعليمهم فتتكفل الحكومة بذلك وفي هذا ارهاق لميزانيتها واضطرارها الى فرض الضرائب . وقد لا تكون تلك الأسباب مما يبرر ذلك النفور القديم بين العنصرين ولكنه نفور واحتقار اعتادهما البيض منذ أجيال

وفي سبيل حل تلك المعضلة يفكر عقلاء البيض في ثلاثة حلول أولها : العمل على ارجاع السود الى افريقيا ليعيش كل عنصر في سلام وحرية وفي سبيل ذلك أنشأ الامريكيون جمهورية ليبريا المستقلة بافريقيا . ولكن هل يمكن اليوم اخراج خمسة عشر مليونا من الزنوج الامريكيين الى بقاع خرج منها أجدادهم منذ ثلثمائة سنة بله ان في هذا حرمان الولايات الجنوبية من الايدى العاملة . وثانيها العمل على اختلاط العنصرين جنسيا واجتماعيا كما حدث بين البيض والهنود الحمر في امريكا الجنوبية ولكن البيض لا يرضون بهذا الحل . وثالثها تعليم السود وتثقيفهم حتى لا يتخلفو

فى المنزلة والتقدم عن اخوانهم البيض فيهدأ ذلك التعصب تدريجيا حتى تزول يوما ما

أما الزنوج الامريكيون فانهم لايعرفون اليوم لهم وطنا غير امريكا وقد اشتركوا فى الحرب العظمى تحت رايتها . واشتركوا فى الالعاب الاولمبية وحاز بعضهم فوزاً عالميا رفع من شأن الولايات المتحدة فى تلك الالعاب ، وظهر منهم نفر من العلماء والادباء والفنانين وغيرهم مما برهن على قابليتهم للرقى والتربية الاجتماعية ومقدرتهم على تكييف أنفسهم بالمكيفات الحديثة والمطالب العصرية

إلا أن هذا النفور وذلك الاحتقار وتلك العزلة بين العنصرين قد دفعت بعض أدباء الزنوج الى نظرية جديدة خلقها اليأس . تلك هى نظرية الجامعة السوداء

وإذا كان هناك من ينادون اليوم بالجامعة الجرمانية وآخرون بالجامعة السلافية وغيرهم باتحاد الشعوب الصفراء الذى خافه بعض الساسة الاوربيين ودعوه بالخطر الاصفر ، وغيرهم بالجامعة العربية أو اليهودية أو الاسلامية وغيرها من المشروعات التى لاتتفق مع مستقبل العالم السائر نحو الوحدة العالمية وتقوية عصبة الامم ، فلماذا لايهب بعض الزنوج المتعلمين وينادون بالجامعة السوداء؟

قيل ان أحد الزنوج من أهالى جزر الانتيل واسمه مرقص جارفى نادى منذ سنوات بهذه الجامعة فلاقت قبولا لدى الراغبين فى الحرية من السود كما لاقت تعضيداً لدى الامريكيين البيض الذين وجدوا فيها خلاصا من ذلك العنصر الذى يكرهونه ، وتقول تلك النظرية بطرد الاوربيين من افريقيا وتأسيس جمهوريات متحدة للسود يتزعمها الزنوج المتعلمين بامريكا وجنوب افريقيا . الا أن هذه الجامعة كما يتضح مشروع فاشل كغيره من أمثال تلك الجامعات النظرية

بقى لنا أن نبحث فى هل يتميز البيض على السود أو على غيرهم من ذوى الألوان فالعلم لا يقر هذا الرأى الذي يتحيز له البيض إذ أن أجناس البشر بألوانها المختلفة لايتميز منها جنس عن آخر فى القوى العقلية أو فى الحواس وقوتها . فاذا وجد جنس متميز عن آخر فى المدنية والرقى فذلك لأن هناك ظروفا خاصة ساعدته على التطور ومن هذه الظروف البيئة والتهذيب

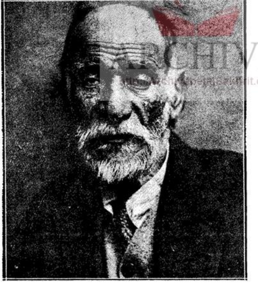
وقد أعلن الدكتور جارث أحد علماء الحياة أن أجناس البشر باختلاف ألوانها متساوية فى العقلية وأن دماغ الرجل الأبيض وكفاءته ومقدرته على التعلم ليست بأعظم من دماغ أخيه الاسود أو الأصفر أو الأحمر . وقد بنى رأيه هذا على اختبارات وتجارب قام بها فى سنوات عديدة

وبعد فانا نعود إلى التساؤل هل من الميسور اندماج تلك العناصر المتنافرة فى وحدة شاملة أم يجب أن تبقى منفصلة متباعدة وقد حرم عليها الامتزاج ؟

جميل صدقي الزهاوي

من كتاب الزهاوي الشاعر
تأليف الدكتور اسماعيل أحمد
أدهم

عاش السيد جميل صدقي الزهاوي الحكيم العراقي والشاعر الفيلسوف نحو ثلاثة ارباع القرن (١٨٦٣ — ١٩٣٦ م) . وهذه الفترة التي امتدت على صفحة الزمن حقبة متطاولة امتازت بما انعكس على صفحتها من مختلف الاحساسات المتناقضة والمشاعر والانفعالات المتضاربة ، وقد كانت تأخذ في ظهورها صوراً متباينة نتيجة للتقلقل الذي أصاب المجتمع العربي ، وهذه طبيعة عصور الانتقال في التاريخ دائماً



جميل صدقي الزهاوي

ولقد أثرت هذه العوامل والمؤثرات بنفسية الزهاوي فاستجاب لها في أدبه ونتاجه الفكري ، وفعلت في عقليته عن طريق لا شعوري فتكيفت تبعاً لها آثاره الفكرية والأدبية . فان الأدب والفن والفلسفة وبقية ضروب المعرفة البشرية كاحد المظاهر التي تنعكس من الانسان على صفحة الزمن تستجيب لكل العوامل والفواعل التي تؤثر في كيانه وأخيلته . وهذه نقطة هامة يحبوها النقد بنتائجه ، فربط الفكر الانساني في وحدة عامة والنزول بها عند حكم الموازنة العصبية (1) في الانسان

(1) Edham (I.A) : "Free Thought", Adabi Review' Vol.I.pp.474—479.

والعمل لتركيزها فى الفعل العكسى الأصيل (1) والمتحول عنه (2) يجهزنا بتكأة علمية نستندإليها فى نقدنا الادبى وتحليلنا ودراستنا لآثار الفكر الانسانى وتمضى بنا إلى أغوار النفس البشرية ، وتجعلنا على اتصال بنهر المعانى الذى يتدفق فى النفس الانسانية . إلا أن هذا النظر فى الواقع انصراف عن النقد المباشر الموجه للآداب ، إلى البحث عن حقيقتها والعوامل التى كيفتها على على هذه الصورة . وهذا المنطق من البحث وان كان يعترض عليه بأنه يجعل دراسة الآداب علماً تحليلياً كعلم التاريخ المقارن أو علم الحياة فمن السهل تفنيد مثل هذا الاعتراض ، اذ أن هذا الأسلوب هو ما يقتضيه منطق الحادثات ، وقد يعترض على مثل هذه الفكرة فى أنها تقتل النقد المباشر الموجه للآداب لأنها ان كانت نتيجة لمقدمات ينحصر كل جد النقد الادبى فى الكشف عنها كان معنى ذلك جعل أهمية الادب نسبية للأسباب التى تتمخض عنها ، وهذا يؤدى الى رفض كل ما هو مجرد وإحلال كل ما هو نسبى ، إلا أننى لا أجد هذا الاعتراض يقوم على أساس من الحق فانه يستمد كل قوته من فهم الوجود نتيجة للفكرات التى شاعت عن المعانى المجردة . والواقع أنه ليس هنالك ما هو مجرد ، وانما هنالك تحول دائم وصيرورة متواصلة ، وتعاقب لا نهاية له من الفعل ورد الفعل تأخذ الاشياء أوضاعها بالنسبة له خلاله . فاذا وعينا هذه المبادىء وعملنا على تطبيقها على أدب الزهاوي فى رسالتنا هذه فسنحتاج إلى مجلد ضخم ومدة من الزمن والفراغ ، والوقت لا يساعدنا الآن ، لهذا نترك التوسع والاستفاضة لدراستنا الالمانية عن أدبه ، ونكتفى هنا ببعض التطبيقات الجزئية .

ولما كان من المهم أن نعرض — ولو فى عجالة — لحياة الزهاوى حيث يتصل الشىء الكثير من أفكاره وبعض جوانب آرائه بحياته وما لابسها من ظروف فاننا نجد ان المراجع فى هذا الصدد قليلة ، وزد على ذلك أنها مضطربة لم تعرض لشىء هام فى حياته ، فهى تقرر ان الزهاوى ولد فى يوم الاربعاء ١٨ حزيران (يونية) سنة ١٨٦٣ م . الموافق آخر يوم من ذى الحجة سنة ١٢٧٩ هـ . من أسرة كردية انحدرت من الشمال لبغداد ، وأن نسبه من جهة والده السيد محمد فيضى الزهاوى — الذي كان مفتيا فى بغداد ومن كبار الرجال البارزين فيها — كان يتصل بأمراء السليمانية البابان ، ومن جهة والدته السيدة فيروزج باحدى بيوتات الكرد ذات الاصل العريق والمحتد الكريم بكرك . ثم تعود هذه المراجع وتقرر أن سبب تسمية والده بالزهاوي يرجع الى أن جد الزهاوي الملا أحمد كان قد هاجر إلى مدينة « زهاو » (٣) وأقام فيها السنين الطويلة وتزوج

(1) Unconditioned Reflex Actions: (2) Conditioned Reflex Actions.

(٣) « زهاو » بلدة من أعمال كورمانشاه

من إحدى سيدات زهاو وولد له منها والد الزهاوي — محمد فيضي — وتعرض هذه المراجع طفولته فتقرر أنه كان متقد الذكاء مع إيغال فى اللهو حتى عرفه أقرانه «بالمجنون» لتناقض حركاته غير أنه لم يكن يعني بما يقولون ، وهذا ما جعل صحابه ولداته وأفراد أسرته يظنون أن فيه ناحية من الشذوذ . غير أن هذا الايغال فى اللهو سرعان ما انكشف عن حيوية الطفل الصغير، فما عرف القراءة حتى انهال على الكتب يقرؤها ، فجاء والده بمربيين ليأخذ على يديهما مبادىء اللغة وأصول الدين وليحفظ القرآن . وعلى قدر ما كان اكبابه على هذه العلوم كبيرا وأخذه منها واسعاً كانت عقليته تنمو ، لا من جهة الحفظ والاستذكار وتكديس المعلومات وانما من جهة الكفاءة الذهنية فلقد كانت طبيعته الحيوية ومزاجه القوى لا يتركان مسئلة تعرض له إلا إذا قتلها بحثا . وما بلغ سنى شبابه حتى كان قد أخذ من علوم الأقدمين بأكبر نصيب ، وتعمق فى التوحيد والفقه الاسلامى والمنطق والفلسفة وتجلت مواهبه فى المجالس التى كانت تعقد بدار والده على مقربة من الدجلة

وفى هذا العهد كان قد استفحل أمر الوهابيين فى نجد ووصلت آراؤهم ودعهم فى الدين الى العراق فأثارت لغطا كثيراً وأقامت مناقشات حادة كان لها أكبر الاثر فى نفسية الزهاوي الشاب ، فتصدى للرد على دعاوى الوهابيين وتفنيد مزاعمهم فى كتابه « الفجر الصادق فى الرد على منكرى الكرامات والخوارق »

وكان الزهاوى قد تعلم اللغتين الفارسية والتركية واطلع على كل ما كان ينقل الى الاخيرة من آثار المفكرين الغربيين ، وهذا الاطلاع ترك فى نفسه أثراً قويا مع الزمن ، تقطعت نتيجة له أوصال عقليته التقليدية

كان الزهاوى فى السنين الاولى من شبابه حتى العشرين ورعا يؤمن بالدين ، غير أنه حدث فى ذلك الوقت أن طغت موجة من حرية التفكير على البلدان العربية ، فقد نشر الدكتور شبلى شميل كتابه (شرح بخنر على دارون) وجعل له مقدمة مستفيضة كانت آية فى عمق التفكير وسلامة المنطق وسعة المعلومات فى ذلك الوقت . وهذه الموجة أثارت روح التنكر عند الكثيرين لكل ما خرج به الانسان من ماضيه ، فظهرت فئات تجحد الاديان كلها وتتهجم على ما يقدسه أبناء العالم العربى . ومن جهة أخري كانت اللغة التركية — بآلاف الكتب التى ينقل لها من الآداب الغربية — سببا فى انتشار الافكار الغربية والثقافة الاوربية عند الكثيرين من أبناء الشرق، فلقد كان على ذلك العهد كل متثقفى العالم العربى يعرفون التركية . وهكذا كان السبيل متوفرا للزهاوى ولغيره من الذين لا يعرفون اللغات الاوربية لان يتصلوا بأحدث الآراء الغربية عن طريق اللغة التركية

فاذا لاحظنا بجانب ذلك أن الزهاوي كان يكمن في نفسه الشك منذ صغره في كل ما يلقى اليه ، عرفنا كيف تقطعت أوصال عقليته التقليدية تحت محراث العلم والثقافة الغربية . وكان لخروج الزهاوي على الدين أو ثورته عليه أثر كبير في نفسيته إذ جعله ذلك يقبل على الدراسة العلمية والفلسفية مع متابعته للمذاهب الأدبية الغربية الحديثة ، فما شعر إلا والقناع الذي يحجبه عن طريق المعرفة الحقيقية قد سقط ، والشكوك التي تكتنفه قد تبددت واهتدى إلى الطريق — طريق العلم — ليمضي استناداً اليه الى الغوص لاغوار الحياة كاشفا عن سرها

وهذه الفترة من الزمن استنفدت كل حيويته البدنية ، وسرعان ما أصبح هزيلا لا يبدو عليه شيء من نضارة الشباب ، فقد ظهر انكبابه على الدرس وادمانه للمطالعة ببريق عينيه وتركهما مريضتين لتختفيا وراء عوينات سوداء ، وجعل لونه ضاربا للصفرة ، ورأسه مشتعلا شيباً رغم انه لم يكن وقتئذ قد تجاوز الثلاثين من سني حياته !

في خلال هذه الفترة كان يخالج الشك أحيانا نفس الشاعر الفيلسوف ، إلا أن حاسيته الدقيقة كانت تزجي قدميه إلى عالم الشعر ، وقد اكتسبت نفسه ثقافة واسعة وتهذبت إحساساته بوقوعه على مذاهب الآداب القديمة والحديثة ، فنظم الشعر ووضع فيه عصارة تفكيره وشعوره بالحياة وإحساسه . وهكذا أصبح الشعر عند الزهاوي وسيلة للتعبير عن أفكاره والابانة عن إحساساته ومشاعره

آمن الزهاوي بالعلم ونزل عند مقرراته ، رمضى يبحث في الطبيعة مؤمنا بأساليب العلم في البحث ، وخرج من دراسته معتقداً اعتقادا لا يوهنه الشك ، ولا يتطرق اليه الريب أن لقوانين الطبيعة وحدتها ، وأن للعالم وحدة متصلة أسبابها غير منفصمة أجزاؤها ، وعاد بالأشياء كلها إلى الأثير فهو عنده « المرجع في الأشياء والأثر » ، واعتقد أن الألوهة حالة في الكون فنظرها في الأثير ، حيث بدا له من نظره في العالم الموضوعي والذاتي — عالم الطبيعة والنفس — أن لاانفصام بين السبب والمسبب ، بين العلة والمعلول . وهكذا انساق الزهاوي لايمانه بوحدة الكون وبطبيعة الاتصال بين ذواتنا الشاعرة المفكرة وبين طبيعة الأشياء إلى الايمان بالله في الكون وبامكان الاتصال بالله عن طريق الكون . وهكذا دلف الزهاوي إلى التصوف فكان عميقا في تصوفه يؤمن بأن هنالك وراء ذواتنا وأعراض الأشياء التي تبدو لناحقيقة واحدة ، حقيقة تصل بيننا وبين الكون ، ولولاها لما أمكننا أن نفكر في العالم وأن نستجيب لانفعالاتنا به ولما أمكن للعالم أن يؤثر فينا

هذه العقيدة التي يقيم عليها الزهاوي صرح تصوفه في الواقع أساسية في التفكير العلمي الحديث ، وهي مستمدة أصولها من مطالعات الزهاوي للمؤلفات الرياضية التي كانت تنقل الى

التركية عن الفرنسية . وسوف نعرض لهذه النقطة واستيضاحها مع التحليل فى دراستنا التى نكتبها عن الزهاوي بالألمانية

« * »

وضع الزهاوى كتابه « عليا الفلسفة » وأعقبه بكتابه « الكائنات » فى العقد الأخير من القرن التاسع عشر . وفى هذين الكتابين كمنت أصول فلسفته ، وهى فلسفة شرقية على العموم داخلها الكثير من الآراء الغربية والمقررات العلمية ، ولقد اتهم بالالحاد ونزل به الكثير من الحيف لسوء تفسير أفكاره

وفى خلال هذه الفترة من الزمن عين الزهاوى عضوا بمجلس المعارف ببغداد فمديرا لمطبعتها فمحررا عربيا لمجلة « الزوراء » الرسمية فعضوا لمحكمة الاستئناف .وسافر للآستانة واتصل برجال حزب « الاتحاد والترقى » فأثار اتصاله هواجس السلطان عبد الحميد فأبعده عن الآستانة بأن أرسله صحبة البعثة الاصلاحية واعظا عاما لليمن ! وظل الزهاوي هناك نحو السنة ، ثم عاد الى الآستانة وأنعمت عليه الحكومة العثمانية بالوسام المجيدى من الدرجة الثالثة . غير أنه باكثاره من اجتماعاته برجال حزب « الاتحاد والترقى » أثار على نفسه حفيظة السلطان فقبض عليه رجاله ، وأرسل مخفورا الى بغداد على ألا يبرحها

وفى عام ١٩٠٨ استطاع أحرار تركيا أن يضطروا السلطان إلى التنازل عن جانب من سلطته وأن يعلنوا الدستور على أساس من الحرية والمساواة بين جميع عناصر السلطنة العثمانية . فرفع عن الزهاوي أمر الحجر وعاد للآستانة وعين أستاذاً للفلسفة الاسلامية فى «المدرسة الملكية» ومدرسا للآداب العربيه فى « دار الفنون » . وخلال هذه الفترة التى امتدت أكثر من عقدين على الزمان نشر الزهاوى كتابه « تعليل الجاذبية » وفيه اعترض بقوة على التصور القديم للجاذبية — نظرية نيوتون - وهاجمها بمحرات العلم والعقل، وقرر أن الظاهرة التىنصرف اليها اصطلاح « الجذب» هى فى الواقع « دفع » — يعنى دفع المادة للمادة وشرح بهذا المبدأ تولد الحرارة والنور فى الشموس والنجوم وعلل استنادا اليها حدوث الزلازل وحركات ذوات الاذناب . وهذا الكتاب ينبئك الى أى حد بلغت أفكار الزهاوى عن الطبيعة وكفاءته فى القياس العلمى والبحث والاستقصاء وابتكاره النظرى . وهى تشهد بأنه تأثر بالأفكار التى دافع عنها الرياضيون فى خلال القرن التاسع عشر تأثراً كبيرا والتى بثها فى مؤلفاته هنرى بوانكاريه الرياضى الفرنسى المشهور — وهو الذي ترجم آثاره الى التركية صالح زكى مدير جامعة الآستانة فى الفترة التى مضت بين اعلان اينشتين للنسبية « ١٩٠٥ » ووفاة بوانكاريه « ١٩٠٩ »

وخلال هذه الفترة نشر الزهاوي أول ديوان له بعنوان « الكلم المنظوم » ، وعرف الزهاوي كأحد أعلام المدرسة الحديثة الادبية فى الشرق وشاعر العربية الفيلسوف

* * *

رجع الزهاوي الى بغداد عام ١٩١٠ لمرض أصابه ، ولما شفى من مرضه اشتغل مدرسا بمدرسة الحقوق ونشر مقالا فى جريدة « المؤيد » عن المرأة دافع فيه عن حريتها ، فثار ضده الجمهور وكادوا يفتكون به لولا اعتزاله ، وعزلته الحكومة من منصبه تهدئة للرأى العام وبعد مدة أعيد ثانية لمنصبه . وانتخب نائبا عن المنتفق ثم عن بغداد ، وذهب مرارا الى الآستانة لحضور جلسات مجلس المبعوثان والخطبة فيها . ثم كانت الحرب العظمى واحتلال الانجليز للعراق ففكروا فى نفيه من العراق ، الا أنه كان يجامل البريطانيين فى خطبه ويذكرهم بوعودهم وهذه الطريقة التى قامت على الملاينة أثارت حفيظة الجمهور عليه فثاروا ضده وتظاهروا أمام داره ونعتوه بالخائن !

وعينته الحكومة الانجليزية عضواً بمجلس المعارف ثم رئيسا للجنة تعريب القوانين العثمانيـة فعرب أكثر من سبعه عشر مجلداً فى القانون . وأخيراً كانت ثورة عام ١٩٢٠ فى العراق فلم يشترك فيها ، فساء ذلك الاهلين وخصوصا لما ذهب ليقابل المندوب السامى السير ولكوكس ، وكانت له وقائع مع الانجليز والاهالى أثارت عليه موجدة الطرفين

وأتى المرحوم الملك فيصل عام ١٩٢٢ فعوكس على عهده الزهاوى فى رزقه وحورب فى عيشه وحاول الملك فيصل أن يجتذبه اليه ويغريه بالمال ويجعله شاعر البلاط إلا أنه رفض ذلك بإباء وشمم

وفى خلال عام ١٩٢٢ رغب فى أن يسافر الى سوريا ، ولكن قامت الثورة السورية فقطعت المواصلات واضطر الى أن يبقى ببغداد حتى أتاحت له الظروف فرصة زيارة بلدان الشرق العربى فيما بعد

رجع الزهاوي الى بغداد بعد أن طاف فى العالم العربى وقد نال أقصى حدود الشهرة وبلغ القمة بأدبه . وقد أصيب بجانب ذلك بمرض الشيخوخة ووهن منه الجسم واشتعل منه الرأس شيبا ، وأثر فيه جحود الامة وإغفال الدولة لأمره وكيد خصومه وانتقاص الادعياء له . فاكتفى بالانزواء فى شارع الرشيد حيث يقوم منتداه ليجالس بعض الادباء يشكو اليهم حاله وينشدهم روائع شعره وظلت حياته فى السنين الاخيرة على وتيرة واحدة من الشكوى من الزمان وانصراف الايام ، ونظم القصائد وايداعها عصارة فكره واحساساته حتى قضى نحبه فى الساعة الرابعة مساء الاحد ٢٣ فبراير سنة ١٩٣٦ م فى منزله ببغداد

العادات المصرية القديمة

الباقية الى الآن فى مصر الحديثة

للأستاذ الدكتور سليم حسن بك

مصر صنيعة النيل هى بلد العجائب وأعجب ما فيها أنها لم يغيرها كر الغزوات وتغلب الدول والشعوب — فهى فى وسط تلك التغيرات التى مرت عليها طوال أكثر من خمسة آلاف سنة لا تزال محافظة على تقاليدها وعاداتها القديمة . فهى كالبيضة محاطة بغلاف من الخارج قد لون بألوان مختلفة وضعها عليها الفاتحون من الخارج ولم يتمكنوا رغم طول الزمن واختلاف الأجناس البشرية التى توالت على حكمها منذ سنة ٥٢٥ ق . م . من تغيير شىء كثير من عاداتها وتقاليدها التى كونت منذ فجر التاريخ

ومما يثير الدهشة ويبعث على العجب ان المصرى برهن انه أكثر شعوب العالم محافظة على عاداته ودينه وطرق معيشته بشكل يثير الاعجاب — فتراه منذ نشأته متمسكا بتقاليده فى كل نواحى الحياة فاذا جاء شىء جديد لم يجعله يتخلى عن القديم بل يضيفه اليه دون أن ينظر إلى التناقض بين الجديد والقديم — وعلى هذا الأساس يمكن أن نفهم المتناقضات التى نجدها بين آونة وأخرى فى عادات المصريين ومعتقداتهم الدينية ولا عجب إذاً أن نسمع كثيرين من الذين يدرسون التاريخ المصرى القديم يلقون القول جزافا بأن الديانة المصرية القديمة معقدة وأنها طائفة من المتناقضات وأن المصرى فى أخلاقه وتصرفاته كان سلسلة أشياء متنافرة والسر فى ذلك — كما ذكرنا — يرجع الى أنه لم ينس بل كان يجمع كل ما يحرزه من عادات وأخلاق وتغيرات دينية فى صدره ويدونها دون أن يتخلى عن القديم ولو كان مناقضاً بعضه بعضا . والواقع ان الانسان إذا أراد أن يدرس الحياة المصرية القديمة من كل نواحيها فلا بد من أن يتخذ طريقة علمية تمكنه من الوصول إلى نتيجة حاسمة صحيحة . وفى ظنى أن أسهل وسيلة لدرس الحياة المصرية بأكملها هى أن يسلك الباحث فى ذلك طريقة تقسيم التاريخ المصرى إلى عصور معلمه ويدرس كل عصر على حدته فثلا إذا انتهى من درس عصر مصر فيما قبل التاريخ انتقل إلى عصر الدولة القديمة فيدون كل ما يعثر عليه من عادات وأخلاق إلى آخره ثم يقارن بين العصرين ومن هذا يمكنه أن يستخلص

ما استجد من العادات منذ نهاية عصر ما قبل التاريخ . وإذا انتقل بعد درس الدولة القديمة إلى الدولة المتوسطة ودرسها من جميع نواحيها فانه كذلك سيجد القديم على قدمه مضافا اليه أشياء جديدة قد تناقض كل المناقضة ما كان فى عصر الدولة القديمة من الوجهة الدينية وطرق المعيشة — ومن المدهش فى هذا الصدد أنك تجد المصرى يتمسك بالقديم بدرجة غاية فى التعصب فتجده مثلا فى العصر الذى كثر فيه استعمال الآلات النحاسية يتمسك باستعمال الآلات المصنوعة من الظران محافظة على ما كان يستعمله أجداده فى أقدم العصور — كذلك فى معبوداته نجده يتمسك بالمعبودات التى كان يقدسها من أول فجر التاريخ . فاذا عبد معبودات أخرى لايترك معبوداته الأولى بل يجمع بين الآلهة قديمها وجديدها وبذلك نجد ان الآلهة المصرية القديمة قد كثر عددها واختفى بعضها ببعض بطريقة جعلت التمييز بين صفات معبود وآخر من أصعب الأمور وأ كثرها أشكالا .ولكن الذى يدرس التاريخ المصرى القديم بالطريقة التى أوضحناها قد يصل إلى نتائج باهرة وحل مسائل معقدة يظن الانسان أنها من الألغاز التى لايمكن الوصول إلى فكها . وفى الحق نجد ان عدم نسيان المصرى ومحافظته على القديم قد أفاد التاريخ المصرى وبخاصة الذين يبحثون فى الحياة الاجتماعية عند قدماء المصريين ومقارنتها بالحياة العامة فى مصر الحديثة إذ الواقع أن كل ما كان يحرزه المصري القديم من عادات وفن ودين إلى عصر الفتح الاسلامى قد سلمه برمته إلى مصر الاسلامية اللهم إلا اللغة والدين — على ان الأولى بقيت على قيد الحياة إلى أن اندثرت فى أواخر القرن السابع عشر وأقصد بذلك اللغة القبطية . أما الدين المصرى القديم فقد ظهر عليه الدين المسيحى لفظاً وشكلا والواقع ان معظم الطقوس الدينية فى مصر الحديثة ترجع فى أصلها الى مصر القديمة كما سنشرح ذلك بالتفصيل فيما بعد — وهى تعد فى الدين الاسلامى بدعا ومن المدهش اننا نجد حتى فى اللغة وفى التراكيب بعض ألفاظ وتعاريف مصرية محضة لا توجد فى أى بلد من البلدان الاسلامية

أما من جهة الجنسية المصرية فيمكننا أن نقول بنوع من التأكيد أن الجنس المصري كان ولا يزال أكثر شعوب الأرض محافظة على دمه وهذا الأمر قد يدهش الكثير من الناس ولكنه حقيقة ثابتة . واليك البرهان . إذا بحثنا تاريخ الفاتحين الذين غزوا مصر فى كل عصور التاريخ نجد ان هؤلاء الأقوام الذين هبطوا إلى بلادنا لم يقطنوا القرى بل كانوا يحتلون المدن الكبيرة فحسب . وهذه المدن كانت محصورة فى عدد قليل ولذلك يجد الباحث فى علم الأجناس البشرية أن فلاح مصر متناسل من أجداده القدماء اما سكان المدن الكبيرة كالاسكندرية والقاهرة والمنصورة فاختلاط الأجناس سائد بينهم . ولما جاء الفتح العربى ودخل الغزاة مصر لم يختلطوا العرب بالمصريين

وبقوا متباعدين عنهم وعاشوا فى مصر وتناسلوا فيما بينهم إلى يومنا هذا . فما سبق يتضح أن المصرى فى قريته لم يتغير دمه الفرعونى إلى الآن غير أن وجه الملابسة قد جاء من تغلب اللغة العربية على اللغة المصرية القديمة وقد وقع فى هذا الغلط الفاحش كثير من العلماء والباحثين فنجد الرجل المثقف من الأجانب إلى الآن ينعت المصريين بالعرب فيقول بالفرنسية مثلا Les Arabes وذلك لأنهم يتكلمون اللغة العربية بدلا من اللغة المصرية التى اندثرت فى أواخر القرن السابع عشر وقد جاء ذلك من تأثير الدين الاسلامى والقرآن الكريم ، ولولا رسوخ الاسلام فى البلاد مابقيت اللغة العربية فى مصر وبالرغم عن كل هذه المظاهر فاننا نجد بالبحث والمقارنة أن الحياة الاجتماعية وما تخلف عنها من العادات والأخلاق فى مصر القديمة لا تزال باقية فى مصر الحديثة حتى فى أدق الأشياء وأكثرها حساسية ألا وهى العادات والطقوس الدينية وحتى التفكير الدينى قد صبغ بصبغة مصرية قديمة . وسيتناول بحثنا هنا هذه العادات وطرق الحياة اليومية من كل نواحيها سواء أكانت دينية أم دنيوية وسنبدأ أولا بشرح بعض العادات المصرية القديمة الدينية التى لاتزال باقية فى مصر الاسلامية إلى الآن وهى التى يعتبرها رجال الدين دخيلة على الدين الاسلامى وتحارب منذ ظهور الاسلام فى مصر — غير أن المصرى بطبعه لا يمكنه التخلى عنها لأنه ورثها عن أجداده وقد اختلطت بدمه ولحمه وعقله وروحه وهو يرثها عن أبيه ويأخذها عنه ابنه على التوالى رغم العمل على القضاء عليها منذ ظهر الاسلام . وستبقى إلى ما شاء الله ما دام المصرى حافظا لجنسيته ودم أجداده :

* * *

كان لقدماء المصريين آلهة كثيرة منتشرة فى طول البلاد وعرضها فى العصر التاريخى وقد بقيت هذه الآلهة الى أن جاء الدين المسيحى ومحاها من البلاد جملة وقد بقى الكفاح شديدا بين الديانة المصرية والمسيحية الى أن انقرض آخر أثر الديانة المصرية فى أواخر القرن الرابع الميلادى على يد الامبراطور « ثيودوسيوس » سنة ٣٨٠ م غير أن بقايا الديانة المصرية ظلت متأصلة فى عقائد القوم وأفكارهم ولما جاء الدين الاسلامى وقضى على المسيحية فى معظم البلاد لم يمكنه أن يتغلب على بقايا المعتقدات المصرية واستمر الحال كذلك الى يومنا هذا . وقد مكثت بقايا الديانة المصرية فى أشكال مختلفة فى ريف مصر وصعيدها وبخاصة فى القري التى لم تمسها أيدى الفاتحين والتى دخلها الاسلام ومن قبله المسيحية ولم يكن لها الا تأثير ظاهر فى عقائد العامة . والواقع لم يكن للمسيحية تأثير عظيم فى ديانة القوم لأن أجلها لم يدم طويلا فى البلاد وما بقى من العادات الدينية قد صبغ بالصبغة المصرية القديمة — وبقايا التراث الدينى المصرى القديم فى مصر الحديثة

ظاهر جلي في كثير من القرى والمدن في أشكال مختلفة منها

« * »

لما كانت الشمس أعظم المعبودات المصرية القديمة منذ أقدم العصور التاريخية فقد ظلت تعبد إلى أن قضى على الديانة المصرية غير أن بقايا عبادتها لا تزال باقية في البلاد إلى يومنا هذا . واليك بعض ما نجد في مصر الحديثة يشير إلى ذلك - « الحلف بالشمس » كانت الشمس أكبر المعبودات المصرية وكانوا يحلفون بها وقد بقيت عادة الحلف بالشمس في بعض القرى المصرية إلى الآن ففي بلدة سنديسط مركز زفتى نجد معظم العامة يقسمون القسم الآتي « وحيـاة الشمس الحرة » وكذلك في بلدة فرسيس يحلفون بالشمس قائلين « وحياة اللي تشوفني ولا أشوفهاش » إشارة الى الشمس . أما في الوجه القبلي فيقسمون بالشمس بالكيفية الآتية « وحياة البهية عند ماتطلع من جبلها » إشارة الى الشمس عند ماتشرق من جبل كان يعتقد المصريون في وجوده في الجهة الشرقية « ياخو »

« * »

وقد كان قدماء المصريين يتشاكون الى الشمس ويحكمونها في أمورهم كما جاء في ورقة Ordiney وذلك أنه عندما راودت زوجة باتا أخاه الاصغر « أنوبس » وتعفف الأخير وشت به لأخيه الذي أراد قتله فطلب اليه الصغير أن ينتظر إلى مطلع الشمس ويجعل الشمس حكما بينهما أي يشكوان أمرهما لها . وقد عثرت بصفة غريبة على وجود مايشبه هذه العادة في مصر الحديثة وذلك أن أحـد اهالي أبو تيج كان ضيفا عندي ذات ليلة فقام مبكراً وحضر الى حجرة نومي وأخبرني أنه حزين وقد بدت عليه علامات الانزعاج فسألته ما الخبر فطلب إلى أنه يريد أن يصعد إلى سطح البيت قبل طلوع الشمس لأنه يريد أن يشكو أمره اليها لانه رأى مناما مزعجا وسرعان ماصعد الى سطح البيت وبعد نزوله وجدت على وجهه علامات السرور والارتياح وقد أخبرني بعد ذلك أنه قد ذهب ما كان عنده من الخوف بعد شكوى أمره إلى الشمس المشرقة

ومن بقايا ذلك أيضا ما نجده عند الاطفال عندما تسقط سن من أسنان أحدهم فانه يأخذ السن المخلوعة ويطلب إلى الشمس أن تبدلها بسن أحسن منها فالولد يقول « خدي سن حمار وهات سن غزال » أما البنت « خدى سن الجاموسه وهات سن العروسه »

« * »

ويعتقد العامة ان الشمس في قدرتها شفاء المريض بالحمى فاذا اشتدت وطأتها عليه فينصح له ان يستحم بالماء البارد عند غروب الشمس فان حرارة الجسم تذهب مع حرارة الشمس - وهذه العادة

لاتزال باقية الى الآن فى أبي جرج وجهات أخري فى مصر

« * »

وكذلك يوصف للمريض بالحمى أن يربط له على طرف جلبابه جعران لتذهب عنه الحمى وتفسير ذلك أن الجعران عند قدماء المصريين كان يمثل الشمس فى الصباح وهذه العادة موجودة فى كثير من قرى الوجه البحرى وبخاصة فى ميت ناجى مركز ميت غمر يضاف الى ذلك أنه فى كثير من قري الفلاحين فى الوجه البحرى والقبلى نشاهد أن الأفراد أناثا كانوا أم ذكورا يوشمون أذرعتهم بقرص الشمس الذى تخرج منه الاشعة وفى وسط القرص نري نقطة صغيرة تمثل عين الشمس نفسها ويقال ان القوم يضعون ذلك منعا للحسد فبدلا من ان يشاهد الانسان جمال الذراع يلتفت الى الوشم وبذلك لاتنفذ عين الحسود الى الذراع نفسها

« * »

لقد نظر المصرى القديم إلى ما حوله من حيوانات وطيور وحشرات ولاحظ منفعة كل منها وضرره ثم أخذ يعبدها فى اول الامر ولما تقدم الفكر الانسانى ابتدأ يتخذها رمزا للآلهة التى يعبدها فكان يتقرب اليها اما طلبا لمنفعتها او دفعاً لشرها وعلى هذا المبدأ نجد أن كثيرا من معبودات المصريين أعدت لتحقيق أحد الغرضين والآن نذكر بعض الحيوانات التى لاتزال محترمة فى مصر الحديثة

« * »

كانت القطة من الآلهة التى عبدت فى مصر منذ أوائل الدولة القديمة وكانت تدعى « باست » وقد تركت لنا اسمها خالدا الى الآن فى اسم البلد التى كانت تعبد فيه وهى تل بسطة بالقرب من الزقازيق وقد عثرنا فى منطقة اهرام الجيزة على بعض القاب لكهنتها « عظيم باست » وقد كانت تمثل الشمس احيانا أى الاله « رع » وقد عثر على موميات مقدسة لهذه الآلهة بالقرب من بنى حسن وكذلك على تماثيل عدة لها من البرونز فى تل بسطه وغيرها من المدن التى كانت تعبد فيها وقد بقى احترام القطة فى كل عصور التاريخ المصرى حتى يومنا هذا وتعد إهانتها من الاشياء المؤذية وقد وصل الينا من صفاتها أن لها سبعة أرواح . وهذه الصفة من صفات الاله «رع» إذ نجد فى المتون المصرية أنه كان ذا سبعة ارواح ثم اصبح له بعد ذلك اربعة عشر روحا وقد كان قدماء المصريين يعتقدون أن القطة مظهر من مظاهر الشمس « رع »

« * »

كان التمساح يعبد عند قدماء المصريين باسم « سبك » وهو اله الماء وقد حفظ اسمه الى يومنا

هذا فى اسماء بعض المدن « سبك الاحد » وقد وجد بعض أفراد يسمون باسم « سبك تمساح » وكانت أكثر عبادته فى جهات الفيوم وكوم امبو وقد كانت تقدم اليه القرابين يومياً فى بحيرة قارون كما جاء نقلا عن كتاب اليونان وبقى احترام التمساح فى مصر الى يومنا هـذا . فنرى بعض البيوت المصرية الحديثة تعلقه على واجهاتها منعا للشر وتيمنا به ويشاهد ذلك فى معظم جهات القطر . وقد أخذ هـذا الحيوان يتقهقر شيئا فشيئا من الدلتا الى أعالى النيل حتى اصبح معدوما بالمرة من القطر المصري

« * »

من الحقائق المدهشة فى تاريخ الديانة المصرية القديمة انه رغم تعاليم الكهنة واجتهادهم فى جعل الحيوان والحشرات فقط رمزاً للقوة الآلهية فان الثعبان كان يحترم ويخاف منه لذاته فقدكان يعبد حيث كان الاله آمون مجرد اسم وفى الوقت الذى كان ينظر فيه الى « رع » بانه إله الاغنياء والعظماء مثل الخيل المطهمة الجيلة والملابس الأنيقة .

ولا شك أن مكانة الثعبان فى الخرافات المصرية تدل على كثرته وخطره فى العصور القديمة وكيف كان أثره المخيف على اهالى النيل . ففى الوقت الذى كان فيه شاطىء النيل عبارة عن مستنقعات غير مسكونة وكانت القبائل النيوليتيكية تبنى اكواخها فى الصحراء لابد ان الثعبان كان خطراً عظيما فى هذه الجهات . والى الآن لايوجد الثعبان المخيف الا فى الصحراء ويقل خطره نوعا ما فى الاراضى الزراعية

ولقد كان الخوف منه شديدا حتى عند اكبر الآلهة فقد جاء فى بعض الاقاصيص ان الآله «رع» قد لدغه ثعبان فسرى السم فى عروقه كأنه نار . وكذلك نجد أن رمز الملوكية فى اقدم العهود الفرعونية هو الصل إذكان رمزاً للقوة التى لاتقاوم وشدة بأس الحاكم الفاتح ولما كانت المقابر المصرية تقام فى الصحراء وكان الثعبان أكبر خطر هناك فقد اخذ القوم يتعبدون فى جبانة طيبة الى آلهة تدعى « مرت سجر » وكانت تمثل فى شكل ثعبان وتلقب « بالقمة الغربية » وقد دخلت هذه الالهة فى العبادة الرسمية وبنى لها مقاصير وكانت تدعى الالهة « موت » وأحيانا « أزيس » إلا أنها لم يتغير شكلها عند القوم بل بقيت ترسم فى شكل حية أو ثعبان

ومن المدهش أن هذه العقيدة القديمة فى الثعبان قد عاشت قروناً عدة فى العهد المسيحى والعهد الاسلامى ولكن فى شكل مختلف . فنجد الى الآن أن الشيخ الذي أقيم ضريحه بجوار مقصورة « مرت سجر » يعتقد فيه أنه يشفى بأعاجيب أي أنه أخذ مكانة الثعبان على أن الثعبان لم يكن يقدس خوفا منه ولكن الواقع لأنه يعيش تحت الأرض فكان يعتبر أنه أقدم سكان الارض وحارس

التربة . ونجد الى الآن فى معظم جهات القطر أن الثعابين تعتبر كحراس للبيت ويقدم لها اللبن يوميا على انها كانت فى الحقيقة تؤذى إلا انها كانت تدخر سمها ولا أظنكم تجهلون قصة الثعبان الذى فقد أليفته فذهب الى زير الماء وسممه غير أنه بعد قليل عثر عليها فرجع فى الحال الى وعاء اللبن وغمس نفسه فيه ثم زحف على الارض حتى لون جلده بالتراب ثم ذهب الى الزير وغمس نفسه فيه وبذلك عكر ماءه فعرف سكان البيت أن الماء قد سمم . ولم يقتصر الاعتقاد عند المصريين الحاليين بان الثعبان يعتبر كحارس البيت فحسب بل لا يزال لتقديسه فى وادى النيل له مكانة عظيمة . ففى المغارة الواقعة فى جبل الشيخ هريدى يوجد ضريحان مقبيان ليسا لوليين مسلمين أو مسيحيين بل لثعبان ألفه . وذلك أن الشيخ هريدى ولي وأن المكان الذى يسكنه بقعة مقدسة ويقام له مولد سنوي فى شهر شوال يأتى اليه الناس من كل فج ولم يكن عند القوم أى شك فى قوة هذا الثعبان الخارقة للعادة وبلغ سمكه مايعادل نخذ الرجل واذا أساء اليه انسان نفث فى وجهه لهيب نار فيميته وهو يقطع الى قطع يلتئم بعضها ببعض والدم المتخلف على هذه البقعة التى قطع فيها يشير الى مكان كنز ويوصف بانه ملاك . وقد روى بعض السياح أن هذا الثعبان قد شفى امرأة فى اخميم كانت قد أصيبت بشلل أقعدها مدة طويلة وقد حدث الشفاء بوضع الثعبان فى سريرها . ويقال عن هذا الثعبان أنه لايموت وانه يمد يد المساعدة لكل من يطلب معونته ويشفى كل من قدم اليه القرابين . وكل من المسيحيين والمسلمين يعترفون بقوة هذا الشيخ الخارقة للعادة وهم يفسرون ذلك بان هذا الثعبان يتقمصه جن . وعلى أى حال سواء أكان الشيخ هريدي من الأولياء أو من الجان فانه متسلسل من ثعبان كان يعبد بالقرب من المكان الذى كان فيه منذ عصر ما قبل التاريخ وقد عثر على ثعبان من البرونز له رأس زيوس فى الجهة الغربية من النيل تجاه مدخل ضريح الشيخ هريدي ، يضاف الى ذلك أن المقاطعة التى تضم ضريحه تسمى مقاطعة « جوحفى » أى مقاطعة الثعبان ومن ذلك نرى أن سكان الصحراء كانوا يقدسون الثعبان فى العصر النيوليتيكى فى هذه المنطقة . وكذلك توجد على صخرة تسمى حجر الغراب على بضعة أميال من شمالي اسوان كتابات مصرية قديمة من عصر الأسرة الثانية عشرة تدل على وجود معبد لثعبان على قيد الحياة والأهالى يعتقدون فى هذه البقعة بوجود ثعبان طوله طول الجذاف وسمكه سمك الرجل ويسكن هذه الصخرة . وهذا الثعبان يظهر ليلا ويفتك بنار عينيه بكل من قاده سوء الحظ الى هذه الجهة

* * *

يلاحظ كثيراً فى مختلف جهات القطر أن لبعض الأشجار المصرية احتراما خاصا يصل الى درجة التقديس ونحن اذا ولينا وجوهنا شطر الديانة الاسلامية والديانة المسيحية لانجد فيهما أثراً لذلك

بل نجدها على العكس فان ذلك من البدع وقبل أن نبحث عن أصل تقديس بعض الأشجار فى مصر القديمة نريد أن نعرف أولا الى أي مدى تحترم الاشجار وتقدس فى مصرنا الحالية

أولا — ان أهم الاشجار التى تقدس فى مصر هى الجميزة والنخلة والسنطة ولا أدل على ذلك من وجود بلدان تحمل أسمائها فنجد مثلا بلدة الجميزة وبلدة السنطة والنخيلة

ثانيا — أهم الاشجار وا كثرها احتراما هى شجرة الجميز واحترامها شائع فى كل جهات القطر إذ قلما نجد جبانة دون ان يكون فى وسطها أو على حافتها شجرة جميز . ويعتقد العامة ان قطع الجميزة من الاشياء المحرمة إذ انها تروى الموتى وتظلهم بفيئها وقلما نجد شجرة جميز فى الجبانة أو بجوار مقام أحد المشايخ الا ونجد بجوارها زير ماء للسقاية ، وفاكهة هذه الشجرة من الاشياء المحبوبة والمادة التى تخرج من قشر ساقها تداوى بها الامراض المختلفة . وقد بلغ التعصب بالقوم فى بعض الجهات مبلغاً كبيرا لدرجة انهم يعتقدون ان من يقطع شجرة الجميز أو غصنا منها تفنى أسرته بأجمعها وفى معظم الاحيان نجد شجرة الجميز مزروعة بجوار مقام احد المشايخ « الأولياء» وفى هذه الحالة تأخذ الشجرة قداستها من الشيخ المزروعة بجواره ويعتقد القوم ان اوراقها تمتاز بخاصة عجيبة إذ تشفى الامراض . ولا يجب على أى مسلم أن يأخذ ورقة واحدة إلا بعد قراءة صلوات . ويقص العامة أقاصيص غريبة عن ذلك منها انه يوجد بالقرب من اللاهون مقام شيخ يدعى جاد الله بجواره ثلاث اشجار . وقد كان للشيخ خادم خاص يسكن مع اسرته فى كوخ مجاور وفى ذات مرة أغرى احد الزائرين زوج الخادم لتعطيه بعض اوراق من الجميز دون ان تتلو الصلاة المطلوبة ، وقد حدث مصادفة بعد بضع ايام أن توفيت زوج الخادم فعزى ذلك الى قطع هذه الأوراق خلسة

* * *

ومثل النخلة كمثل الجميزة لها مكانة عظيمة بين عامة الشعب واذكر انه فى اسيوط أراد احد الأهالى أن يبنى بيتا فاعترض أحد الجدران نخلة ففضل ان يحول اتجاه البناء عن ان يقطع الشجرة وذلك اعتقاداً منه ان قطعها امر محرم قد يسبب له خراب بيته ويجلب عليه النحس . ونجد ان خوصها يوضع فوق المقابر كقربان فى مصر القديمة ومصر الحديثة على السواء . ويزرع النخل بجوار مقامات المشايخ مثل الجميزة فمثلا فى إحدى عزب المنيا « عزبة مسمار » يوجد شيخ يدعى الشيخ سيد دفن فى بقعة ذات بناء مخروطى الشكل وبجواره شجرة نخيل على مقربة من كوخ حقير مصنوع من اللبن يشعل فيه الشمع يوميا وتأتى اليه النساء العاقرات وتمررن على مقام الشيخ سبع مرات ، وعند ماتثمر النخلة تأكل واحدة من فاكهتها ويعمل هذا ثلاث مرات فى

أيام الجمعة مع ملازمة الصمت فى الذهاب الى الزيارة وفى العودة منها

واعتقاد العامة هو أن روح الولى او الشيخ تسكن الشجرة ويفسرون ذلك بأن من بين هؤلاء الاولياء من يموت قتلا فيصنع له تمثال من الطين فى المكان الذي أهدر فيه دمه حتى لا يتحول عفريته فيضايق الاحياء غير أن التمثال كان يبلى على مر الايام فتنبت على بقاياه شجرة تسكن فيها روح الشيخ حتى وان لم يكن له ضريح هناك ومن المحقق أن الروح تسكن الشجرة فى يوم مخصوص من الاسبوع ـ يوم الخميس أو يوم الجمعة ـ « أى يوم الطلعة »

هذا هو مانجده فى مصرنا الحالية ولنعد الآن الى أصل كل ذلك عند قدماء المصريين لنربط الماضى بالحاضر

فى مقبرة « رع جسركاسنب » فى طيبة نجد على أحد جدرانها صورة فلاح يؤدى صلاة الصبح الى شجرة جميز مغروسة فى أحد أركان حقل قمح على حين أن قربانا من الفاكهة والخبز والماء موضوع تحت ظل الشجرة وقد حاولت الديانة الرسمية أن تحلل عبادة هذه الشجرة كما حاولت المسيحية تحليل عبادة « عين الماء » بان جعلت الشجرة فى خدمة الاله ورأت فيها مظهراً من مظاهر الالوهية فأصبحت جميزة الجنوب تمثل جسم البقرة « حاتحور » التى يرى رأسها خارجاً من بين أغصان الجميزه

وأحيانا تمثل شجرة الجميزه الاله « حاتحور » مطلة برأسها من بين أفرعها وفى يدها ابريقان مملوءان بالماء للسقاية وكان قدماء المصريين يعتقدون أن الآلهة تسكن هذه الشجرة وانها شجرة الحياة وأن فاكهتها تغذى الاموات وكان من تمنيات المتوفى أن تنتقل روحه على أغصان الجميزه وأن تظلله بفيئها وأن يأكل ثمرها الشهى

ومن ذلك يتضح لنا أن الفكرة القديمة والحديثة عن تقديس الجميزه تتفقان معا

أما عن الاعتقاد بان الشجرة تنبت من تمثال الطين الذي عمل للولى فيرجع الى أصل مصرى قديم أيضا اذ كان يعتقد أن شجرة الجميزة قد نبتت من جثة أوزيريس وقد كان المتعبدون يخاطبونها بما يأتى « مرحبا بك أيتها الجميزة التى تضم الآلهة والتى تحتها يقف آلهة الآخرة أنت يامن أطرافها قد أحرقت ويامن جزعها قد التهب ويامن تساويت معه فى الآلام وأنت يا أوزيريس فهى تظلل عليك وتصد « ست » منازلك وأنت أيتها العذراء الرشيقة (يقصد الشجرة) التى قد خلقت الروح »

والى يومنا يعتقد العامة فى أن الاشجار المغروسة بجوار الأولياء تشفى المرضى وترد المفقود بدق مسامير فى جزعها

« * »

لقد توارث المصريون بعضهم عن بعض عادات خاصة بدفن موتاهم والاعتناء بهم بعد الموت

من أقدم عصور التاريخ وقد ظلوا محتفظين بها على الرغم من كل التقلبات الدينية التى مرت على البلاد والآن نريد أن نبحث فى هذه العادات من بداية إصابة الفرد بالمرض الى أن يدفن ثم بعد الدفن

لقد ظل الفلاح المصري الى زمن غير بعيد لا يؤمن بمداواة علله بالطرق الحديثة فكان يلجأ الى صنع أدويته من الاعشاب والعقاقير الطبيعية كما كان يلجأ أيضا الى قوة الصيغ السحرية وهذا ما نجدة بالضبط فى ورقة « إيبرس » و « ورقة لندن » و « ليدن السحرية »

غير أن هذه الطرق القديمة أخذت فى التلاشى أمام العلم الحديث بالرغم من أن بعض القوم لا يزالون متمسكين بها ففى كثير من الاسر التى لم تتسرب اليها أساليب المدنية الحديثة يداوي المريض بالتعاويذ السحرية فمثلا نجد الآن أن فقيه القرية يحمل معه كتابا خاصا بالتعاويذ السحرية فاذا مرض أحد الاهالى نودى به فى الحال فيكتب للمريض التعويذة الخاصة بمرضه على طبق من القيشانى ثم يغسل هذا الاناء حتى تمحى الكتابة ويعطى الماء المتخلف من ذلك الى المريض ليشربه فيشفى وهذا مانقرأه على تمثال « زد حر » الموجود بدار الآثار المصرية فى القاهرة وقد كان هذا الكاتب مشهورا بالمداواة بواسطة التعاويذ السحرية وقد جمع منها عدداً عظيما وقبل وفاته عمل لنفسه تمثالا من الجرانيت كتب عليه كل التعاويذ التى جمعها مدة حياته حتى يمكن الاحياء أن ينتفعوا بها بعد موته . وقد قال إذا كان الفرد مصابا بمرض كيت وكيت فما عليه الا أن يصب الماء على تمثالى ديجرى على الكتابة فاذا ماشرب منه شفى وأحيانا يكتب الشيخ التعاويذ بالحروف الابجدية فيحملها المريض حول عنقه أو على رأسه أو فى المكان الذى يؤلمه وفى هذا شفاء له . ومثل هذه التعاويذ نجدها بكثرة فى ورقة ريلند الموجودة فى لندن وقد يعتقد أهل المريض أحيانا انه مرض حسدا فيأتون بامرأة معروفة فى البلدة أو القرية بالرقية الشافية فتتلو الرقيه التى يصحبها حرق البخور فى ارجاء البيت وخاصة الفاسوخ لأنه يفسخ العين المؤذية وفى أثناء تلاوتها تمسك بيدها ورقة قصت على شكل تمثال الحسود عملت فيها خروم بواسطة خياط (إبره) ثم تحرق هذه الورقة أمام عين المريض. وتفسير هذا بسيط وذلك ان المصرى كان يعتقد أن الضرر الذي كانت تسببه عين الحسود ناشىء من أن العين المؤذية أصابت الجسم ولذا عمل لصاحبها تمثال من الورق صوب اليه وخز الابر أما حرق البخور فهو لابعاد الشياطين والأرواح الشريرة من حجرة المريض ومن البيت وكذلك من جسم المريض

وفى بعض جهات القطر (طلخا بالوجه البحرى) تضع أسرة المريض الخبز تحت رأس المريض ظناً منهم أن ذلك يمنع الأرواح المؤذية من مهاجمة العليل وهذا الخبز بمثابة قربان لها

أما إذا كان المرض مسبباً عن لدغة ثعبان أو حشرة مؤذية فقد كانت وطأة السم تخف بواسطة التفل على المكان الملدوغ

وفى مصر الحديثة يوجد فى كل قرية شخص مشهور بمداواة لدغ العقرب أو الثعبان بالتفل على مكان اللدغة وكذلك يعتقد أن فى قدرة المشايخ شفاء لدغ الثعبان كما كان يفعل تحوت اله العلم والطب عند القدماء وعند ما تعجز طرق السحر من مداواة المريض فينتهى الأمر الى موته وتأخذ الأسرة فى تجهيزه للدفن فاذا مات فى ساعة متأخرة من النهار وكان لزاما أن يبيت فى حجرته فان الواجب أن لايترك وحده بل يبقى معه أحد أفراد الأسرة أو يوضع تحت رأسه رغيف ليكون بمثابة قربان لروحه « كا » وبذلك تبقى معه لتؤنسه فى البيت

وعند دنو أجله يوضع رأسه جهة القبلة كما هو المتبع فى الديانة الاسلامية غير أنه رغم ذلك فان كثيرا من المصريين الحاليين يضعون رأس المتوفى جهة الغرب ويرجع هذا الى اعتقاد المصريين الأقدمين بأن الغرب هو المكان الذي تدفن فيه موتاهم ولذلك يقال فى الأمثال العامية « عين الشخص غربت » اذا أشرف على الموت أى انها تتجه جهة الغرب . بل كان دائماً فى الجهة الشرقية أو البحرية ويقال فى أمثلة العامة « مبحر نوم السلاطين ومشرق نوم الوزراء ومقبل نوم الشياطين ومغرب نوم الوحدة » وعند الأقباط المتسلسلين من المصريين القدماء عند ما يتوفى الشخص يدار رأسه جهة الغرب ورجلاه جهة الشرق وتفسير ذلك عند قدماء المصريين يطابق الواقع عند المصريين الحاليين فانك تجد أن أبواب مقابر الملوك — الاهرامات — دائما فى الجهة البحرية « مبحر نوم الملوك » . أما أبواب مقابر عظماء القوم وبخاصة الأسرة الرابعة والخامسة والسادسة فكانت فى الجهة الشرقية لاستقبال الشمس المشرقة . أما الغرب فكان الجهة الخاصة بدفن الموتى ولذلك نجد أن كل مقابر قدماء المصريين كانت تقع فى الجهة الغربية من النيل ومن الغريب أن معظم فلاحى القطر المصرى يتشاءمون من فتح أبواب منازلهم فى الجهة الغربية ولذلك يعتقد المصريون الحاليون أن الشرق فيه انبعاث الحياة وأن الغرب دال على العدم . ولقد أثرت العقيدة المصرية القديمة على الكتاب المصريين الحاليين فقد جاء فى « لسان العرب » الذي ألفه مصرى فى تعريف الشرق والغرب مايأتى : الشرق دال على الوجود — والغرب دال على العدم . وانك لاتجد هذا التعريف فى أى قاموس من قواميس اللغة العربية الا فى قاموس لسان العرب لان مؤلفه مصري « أنظر لسان العرب جزء ١٢ صفحة ٤٠ طبعة ١٣٠٢ »

وفى الصباح تجتمع النساء عند بيت المتوفى ثم يتركن البيت ويطفن حول القرية اعلانا بوفاة الرجل الراحل وهن يبكين ويندبن ويصبغن وجوههن باللون الاسود أو بطمى النيل ويرخين

شعورهن . وهذه العادة بذاتها كانت موجودة عند قدماء المصريين وتشاهد مرسومة على مقبرة « راموزا » بطيبة . أما الرجال فكانوا يجتمعون أمام البيت ويأتى اليهم من يواسيهم وقد عثر على ذلك فى احدى الاوراق البردية .

وذلك ان ضابطا من ضباط الجيش كتب خطابا الى زوجه المتوفاة يقول « وعندما وصلت الى منف وطلبت أجازة من الفرعون وأتيت الى المكان الذي كنت فيه بكيت بكاء مراً مع أهلى أمام دارنا وقد أعطيت ملابسى الكتانية لتكفينك وكذلك صنعت ملابس كثيرة لك ولم أترك شيئا لم أفعله »

أليس هذا ينطبق على ما نقوم به اليوم نحو موتانا ؟

والآن يأتى دور غسل الميت، وهذه عادة اسلامية ومع هذا فان العادة المصرية القديمةقد تركت أثرها فى ذلك وأقصد بهذا غسل الميت بماء الورد وقد عثر على ذلك فى ورقة اللوفر التى ترجمها ماسبرو . وأحيانا نجد فى الوجه القبلى بعض القرى تغسل موتاها بمنقوع ماء النبق وقد عثر على نقوش تثبت ذلك فى متون الاهرام « تعتبر أ كل ما كنها مطهر » أما موضوع تكفين الميت فعادة مصرية قديمة بحتة اذ حرمت الديانة الاسلامية تكفين الموتى فى أقمشة غالية الثمن ونعلم أن محمداً عليه الصلاة السلام قد كفن فى بردته .

دعنا الآن نرى ما يفعله المسلمون فى مصر عند تكفين موتاهم رغم تعاليم الاسلام ففى الوجه القبلى يكفن الميت أحيانا فى خمسة عشر قميصا أى ما يقرب من نحو سبعين متراً أما فى الوجه البحرى فيختلف هذا باختلاف ثروة الشخص فالاغنياء يكفنون موتاهم أحيانا فى سبعة أدراج أما عند قدماء المصريين فقد كان يبلغ طول القماش الذى يكفن فيه الميت أحيانا نحو خمسمائة ذراع ومما يسترعى النظر عند المصريين المحدثين استعمالهم القماش الذى كان يغطى به ضريح الاولياء أو المشايخ فى صنع أكفانهم وأحيانا نجد بعض الاغنياء أو أفرادا من الطبقة الوسطى يبذلون جهدهم مدة حياتهم فى جمع بعض الملابس التى كانت تغطى ضريح الاولياء ويدخرونها ليكفنوا فيها ولدينا مايشبه هذا فى مصر القديمة وذلك ان بعض القوم كانوا يرغبون فى أن يكفنوا فى ملابس كان يستعملها الالهأى كانت توضع على تمثال الاله فكانت اللفائف التى يلف فيها تمثال الاله يوميا تؤخذ وتستعمل كأكفان للموتى تبركا بها على أن عامة القوم كانوا يكتفون بان يحصلوا على قطع صغيرة من هذه اللفائف يضعونها فى أكتافهم وهذا ما نشاهده فى مصر الحديثة اذ نجد القوم يتهافتون على قطع من كسوة الرسول عليه السلام وكذلك على قطع من غطاء ضريح السيد البدوى وغيره من الاولياء ويحتفظون بها لتكون معهم فى اكفانهم

« * »

وقد كان من عادة المصريين أن يحمل أصدقاء المتوفى التابوت على أعناقهم وهذه العادة لاتزال مشاهدة فى مصر الآن بل هذا هو الشائع . وقبل أن يخرج الميت من البيت كان يوضع معه فى كفنه بالقرب من قدميه كتاب الموتى وهو عبارة عن عدة تعاويذ تكتب على ورقة بردية كبيرة الحجم وقد بلغ عدد هذه التعاويذ احيانا ١٦٥ تعويذة . وهذه التعاويذ كانت تساعد الميت على اقتحام العقبات التى كانت تعترضه فى الحياة الآخرة وتبرئه أمام محكمة العدل يوم الحساب فى حضرة الاله « أوزوريس » و « تحوت » والآلهة « معات » وغيرهم من الآلهة . وقد اتخذت هذه العادة فى مصرنا الحالية شكلا خاصا عند المسلمين وذلك بان تقرأ عتاقة للمتوفى قبل خروجه من البيت ويعمل له اسقاط الصلاة . ولكن هناك مايثير العجب اكثر من هذا إذ أن الفرد كان يعمل لنفسه عتاقة قبل مماته فيأتى بالفقهاء الذين يقرأون الصمدية ومعهم خيط طويل وفى كل دفعة تعقد عقدة حتى تصل العقد الى عدد محدود فيأخذ الشخص هذا الحبل ويحتفظ به ليدفن معه وهذه العادة نشاهدها فى كثير من قرى مديرية الدقهلية ، وهذه الصمدية تقوم بلا شك مقام كتاب الموتى لتساعد المتوفى وقت حسابه واحيانا يوضع معه نسخة من القرآن الشريف

وقبل أن يخرج المتوفى من البيت كانت تذبح له ذبيحة أو ذبيحتان عند باب البيت وكان يوضع معه منها أجزاء فى القبر . وقد عثرنا على عظام ثيران فى مقابر كثيرة من الدول القديمة والمتوسطة والحديثة . وقد ظلت هذه العادة فى مصر الحديثة حية بشكل ظاهر . والآن اذا توفى انسان تذبح له ذبيحة تسمى كفارة . وفى بعض الجهات تسمى ونيسه أى تؤنسه فى قبره وفى بعض جهات القطر توضع بعض أجزاء هذه الذبيحة مع المتوفى فى القبر . ففى كفر بولين سركز كوم حماده مديرية البحيرة يلف رأس الذبيحة فى قطعة من القماش ويدفن مع الميت

كان قدماء المصريين يكسرون وراء الميت عند خروجه من البيت اناء ويضعونه معه فى قبره منعاً من أن تعود قرينته « كا » الى الأحياء فتؤذيهم . وقد عثرنا على مقبرة لسيدة من علية القوم من الدولة القديمة وجدنا فيها الاناء مكسرا الى قطع موضوعة فوقها قطعة حجر . وهذه العادة بذاتها لاتزال باقية فى مصرنا الحديثة إذ أنه اذا خرج شخص من البيت وكان غير مرغوب فى عودته اليه ثانية فكان يكسر وراءه إناء كسر منه جزء ، وهذا مايسمى عند الفلاحين قواراً . وقد شوهد أيضا كسر القوار وراء المتوفى خوفا من رجوع عفريته ومعاكسته لأهل البيت (اذا مات قتيلا)

* * *

يشاهد فى معظم جهات القطر وبخاصة فى القرى التى لم يتطرق اليها التمدين أن الاحتفال بدفن الميت يشبه فى كثير من الوجوه ماتراه مرسوما على جدران مقابر المصريين فكان ترتيب الاحتفال

أن يتقدم حاملو المباخر ثم القراء فأصحاب المكانة ثم أهل البيت ملتفين حول التابوت ، أما النساء فكن يمشين وراء النعش بشعور محلولة ووجوه ملطخة بالطين ومصبوغة باللون الأسود علامة على الحزن ثم يندبن ويبكين

وعند مايصل الاحتفال الى المقبرة يترك التابوت فترة قصيرة أمام القبر الذي كان يبنى عادة على شكل مصطبة أو شكل قبائي . وقد بقيت هذه الأشكال فى مصر الحديثة على أننا نجد كذلك من بين مقابر الفقراء فى مصر وبخاصة الوجه البحري مبنية بالشكل الهرمي الذي لم يكن يستعمل فى مصر القديمة الا للملوك وزوجاتهم

وقبل أن يغيب الميت فى مقره الأخير كانت تأتى زوجه وتودعه الوداع الأخير وتقبله وتنوح بألفاظ تقطع نياط القلب . واليك مارثت به زوج زوجها المتوفى : « إننى أختك أيها الرجل العظيم لاتهجرنى ! لماذا أنت بعيد عنى ! أنت يامن كنت تحب المزاح معى أنت الآن صامت لاتتكلم »

وخلف الكهنة كان يندب أقاربه النسوة القفيرات والأطفال الذين كان يعنى بهم فى حياته قائلين : « واحزناه واحزناه ! يالعظم الخسارة ! لقد ذهب الراعى الى أرض البقاء وذلك الذى كان له أصحاب كثيرون أصبح الآن فى بلد تحب الوحدة . وذلك الذى كان يحب أن يفسح لساقيه العنان أصبح الآن سجينا مربوطا مغلقا عليه . وذلك الذى كان له ملابس الكتان الجيلة وكان يلبسها بفرح وسرور ينام فى ملابس قد وضعت عليه منذ الأمس » أما العظماء الذين كانوا يسيرون وراء جنازته فبرغم أنهم لايشاطرون فى العويل والبكاء إلا أنهم كانوا يظهرون ارتياحهم لما يرونه من مظاهر الاخلاص والحب الذى يبديه أقارب الميت نحو فقيدهم العزيز فيقولون ما أحسن حظ هذا الرجل لقد أحبه ربه بدرجة عظيمة حتى جعله يصل الى الغرب يتبعه أجيال من خدامه وأتباعه

وهذا المنظر مألوف فى قرى الوجه البحرى ويلاحظ فى وقتنا هذا من أول خروج المتوفى من البيت الى أن يوضع فى قبره أن حملة الماء يقربون الماء الى الناس ليشربوه ترحماً عليه وبعد دفنه يصب الماء على قبره ، ونشاهد كذلك فى أثناء سير الجنازة أن الجمال تحمل الكعك والفطير والفاكهة لتوزع على الفقراء رحمة على الميت

وهذه العادة شائعة فى مصر الحديثة

وأهل الميت عند مايوزعون هذه القرابين يقولون الألفاظ الآتية « رحمة ونوراً » على روح الميت وهذه العادة مصرية محضة

والواقع أن المصري القديم كان لايتطلب فى مأواه الاخير أكثر من رحمة أوزوريس يوم الحساب والنور فى قبره . وكان المصرى يجهز نفسه من أجل الرحمة بواسطة بعض فصول من كتاب الموتى (أنظر فصل ١٢٥ ليوم الحساب) أما النور فهناك كتاب خاص يسمى « كتاب الخروج من القبر

نهارا » ومن المدهش ان المصري الحديث مثله كمثل المصرى القديم فى انزعاجه من ظلمة القبر ولذلك إذا دعا إنسان لآخر قال له « نور الله ضريحه » وفى مقبرة Pahori نقرأ النقوش الآتية « تخرج كل يوم نهارا وتعود كل يوم مساء الى بيتك (المقبره) وفى خلال الليـل يضاء لك مصباح الى أن تشرق الشمس ثانية وتنير جسمك ويقال لك مرحبا فى بيتك هذا بيت الأحياء وأنت ترى رع فى أفق السماء وتشاهد امون عندما يطلع »

وقد بقيت عادة إضاءة مصباح على قبر الميت فى مصرنا الحديثة إذ أن اهالى المتوفى يضعون مصباحا فوق قبره مدة أسبوع أو أسبوعين كذلك فى الحجرة التى مات فيها فانهم يضعون مصباحا مدة ثلاثة أو سبعة ايام وقد تمتد المدة فى بعض الجهات الى اربعين ليلة وذلك يتوقف على العادة المتبعة فى الجهة التى توفى فيها الميت خوفا من عفريته

وفى أيام الأعياد تضاء المصابيح على قبور الموتى وهى عادة شائعة فى كل انحاء القطر

وعندما يغيب الراحل فى قبره كان لابد أن يمسك كفنه قبل أن يوارى عليه الرمل حتى لا يكون سجينا فى لفائفه وفى مصرنا الحديثة يقوم بهذه العملية الابن الاكبر فيفك عن والده أو والدته واذا لم يكن له ولد فاحد أقاربه وهذه العادة بفصها ونصها عثرنا عليها فى متون الاهرام اذ قام حوراس بالتفكيك عن والده أوزوريس وهذا هو واجب الابن نحو أبيه فيقول النص « أن حوريس يأتى اليك وأنه يفك عنك لفائفك ويرمى بعيداً عنك أغلالك »

والغرض من هذا هو منح الراحل الحرية الكاملة فى تحريك أعضاء جسمه

« * »

كان المصرى القديم يعتقد أن المتوفى لابد له من طعام يغذى به قرينته فى قبره لأنه كان يعتقد أن لكل فرد قرينة لا يمكن أن تنضم الى جسمه وتسكن فيه فى العالم الآخر إلا اذا كان الجسم محفوظا وكذلك لابد أن يقدم لها القرابين كل يوم لتأكل منها ولأجل الاحتفاظ بالجسم كان المصرى يجتهد فى اخفاء مقبرته فى مكان حصين ليحفظه حتى لا يتطرق اليه البلى ويعمل له تمثالا يحل محل الجسم إذا بلى وأهم من كل ذلك انه كان يحبس الاوقاف ليقدم لقرينته القرابين يوميا وفى بعض الاحيان كان يضع المأكولات معه فى القبر وقد بقيت هذه العادة الاخيرة الى الآن ويعتبرها كل من الدين المسيحى والاسلامى نوعا من البدع ولكنها فى الحقيقة عادة مصرية قديمة وقد أخبرنى صديق لى أنه بجوار بلدة طنطا شاهد فى قرية هناك أن أقارب المتوفى وضعوا معه فى قبره حماما ودجاجا مشويا ليكون له غذاء فى قبره وفى معظم قرى الوجه البحرى مثل (ميت غمر وميت ناجى والمعصره) تضع اسرة المتوفى إبريق ماء وثلاثة ارغفة من العيش وقليلا من الملح غير أن هذ

العادة كانت تعمل اذا كان المتوفى سيدفن فى قبر لم يكن قد دفن فيه احد من قبل وتفسير ذلك يختلف باختلاف الجهات فبعض القري تعزو وضع هذه الاشياء الى الرغبة فى الائتناس والبعض الآخر يعتبرها غذاء للراحل وقد شاهدت فى القاهرة بعض القوم يضعون رغيفين وقليلا من الملح فى النعش تحت رأس الميت على أن توضع معه فى القبر

« * »

لما كان المصرى القديم يعتقد أنه سيحيى حياة اخرى كان يضع معه كثيرا من الاثاث الذى كان يتمتع به فى الحياة الدنيا وبخاصة التى كان يحبها وقد نجد فى المقبرة أثاثا لم يكن قد استعمل من قبل وأثاثا استعمله الميت مدة حياته — وقد عثر فى حفائر الجامعة على أشياء كثيرة من هذا النوع وفى عهد الدولة الحديثة عثر على أشياء كان لها فضل كبير فى اماطة اللثام عن معلومات قيمة تتناول الحياة المنزلية والحياة الاجتماعية عامة وقد بقيت بعض هذه العادات الى عصرنا هذا يستعملها الاقباط والمسلمون على السواء فمثلا كما كان يوجد مع الاطفال فى عهد الدولة الحديثة أدوات كتابتهم فى مقابرهم نجد الآن أن أهل الميت يضعون معهم لعبهم وألواح كتابتهم المكتوبة عليها بعض أجزاء من القرآن الكريم وهم فى المكتب وهذه العادة لاتزال موجودة فى أبى جرج ويقول ارمن فى كتابه « الادب المصرى » أن معظم الحكم والامثال التى وصلت الينا قد عثرنا عليها مكتوبة على ألواح كتابة الاطفال فى المدارس فى مقابرهم . والى الآن يوضع حلى المرأة معها وكذلك يوضع احيانا طشت وابريق وشبك (ابو جرج)

والآن دعنا نترك المتوفى ساكنا فى قبره لننظر فيما يقوم به أهل الفقيد نحو راحلهم العزيز — فى مصر الحديثة كما كان فى مصر القديمة لم تترك أسرة المتوفى فرصة دون أن تظهر احترامها لذكرى الراحل — فى مصر القديمة كان أهل الميت يمتنعون عن كل أنواع الملاذ والسرور والطعام اللذيذ والملابس الجميلة والاستحمام وكذلك كانوا يرخون لحاهم وقد شاهد ذلك هيرودوت بنفسه وهذا ما نشاهده فى كل جهات القطر الآن وفى الوجه البحري نشاهد الرجال يرخون لحاهم مدة أربعين يوما أما النساء فيتركن شعورهن محلولة أو يقصونها وهذه عادة شائعة فى الوجه القبلى وفى اليوم الثالث من ممات الشخص تجمع نساء أهل المتوفى ملابسه ويحملنها فى سلة إلى شاطىء النهر أو الترعة المجاورة لهن لتغسل وفى أثناء سيرهن تقوم أختا المتوفى بالتعديد ذاكرتين ما كان عليه المتوفى من صفات أما النساء الأخريات فكن يتبعنهما بالعويل فى الذهاب والاياب وهذه العادة على ما أذكر مقصورة على الوجه البحرى

وبفضل هذه العادة استطعنا أن نفسر قطعة من الفصل الأول من كتاب الموتى كانت غامضة

مبهمة إذ يقول المتوفى « قد كنت مع الباكين على أوزوريس (أي مع إزيس ونفتيس) عند شاطىء رختى . ورختى هذا هو المكان الذى كانت تغسل فيه ملابس المتوفى ومعنى كلمة رختى لغويا الغسيل فحينئذ كان شاطىء رختى معداً لغسل ملابس الميت فى اليوم الثالث . أما المرأتان اللتان كانتا تعددان مناقب الراحل فى مصرنا الحديثة فانهما تقابلان فى مصر القديمة إزيس ونفتيس وبذلك أصبح مفهوما لدينا مكان الغسيل فى كتاب الموتى

ويرجع السبب فى غسل ملابس الراحل فى اليوم الثالث إلى أنه فى هذا اليوم حينما تغسل الملابس تتركها الروح العالقة بها وتنضم إلى الجسم حيث تسكن معه فى القبر وكان غسل الملابس يحدث وقت غروب الشمس حتى يمكن للروح أن تغرب مع الشمس الى مثوى الراحل ومن الغريب جداً أن النسوة بعد غسل الملابس يذهبن الى المقبرة ويضعن عليه طبقة من الطين ظانين أنهن يمنعن الروح من الخروج من المقبرة مرة أخري

* * *

كان المصرى القديم يهتم اهتماما كبيراً باتخاذ الأهبة لتقديم القرابين لقرينته فكان يحبس عليها الأوقاف وكانت تعمل لذلك وصايا مثل وصايا أسيوط العشر وكان أهل الميت يذهبون الى قبره كل يوم اذا كان غنياً وفى الأعياد فقط اذا كان فقيراً وفى عصرنا الحالى تحبس القرابين على قبور الموتى حتى يترحم من خرجها على أرواحهم ولا فرق هناك بين تقديم القرابين فى مصر القديمة ومصر الحديثة . ففى الأولى كانت توضع القرابين على مائدة القربان ليستفيد منها الكهنة وفى الثانية يأخذها المقرئون الذين يحضرون لذلك الغرض فى يوم الخميس أو يوم الجمعة وفى كلتا الحالتين كان يعتقد ان روح الميت تتمتع بكل ما يقدم لها من أنواع الطعام والشراب ومن غريب العادات المتأصلة عندنا هى زيارة الميت أسبوعياً والترحم عليه ولم أعرف لهذه العادة أصلا حتى عثرت عليها مصادفة فى الكتابات المصرية القديمة وذلك أن « إزيس » كانت تزور قبر أخيها أوزوريس فى جزيرة بجا بالقرب من أسوان أسبوعياً للترحم عليه فكانت تصب الماء على قبره وتجلس تحت ظل الشجرة التى تمثل الاله نفسه (وهى عندنا الآن الطلعة) ومن العادات القبطية الشائعة فى وقتنا هذا أن أهل الميت عندما يزورون قبر راحلهم يضعون قليلا من حب القمح على مقبرته وهناك يأكلون بجواره ما كان يحبه فى حياته

هذه نظرة عامة فى بعض بقايا العادة الدينية التى ورثناها عن أجدادنا

تأثير الايحاء في تكوين الشخصية

للاستاذ زكي حكيم

روت الصحف الانجليزية قبل عامين تقريبا أن الذين شاهدوا الطيار الانجليزي « سكوت » عند مابدأ رحلته الجوية من انجلترا قاصدا الى أوستراليا في المباراة الجوية البعيدة المدي والتي فاز فيها هذا الطيار بجائزتها الأولى ، أن « مسز سكوت » زوجته قالت له في آخر لحظة وهو يضع قدمه على سلم الطائرة ليأخذ مكانه في مقعد القيادة « هأنذا في انتظار النبأ السار بفوزك في هذه المباراة ، أرجو أن تضع هذه الرغبة نصب عينيك في كل لحظة تستطيع أن تذكرني فيها وأنت في الجو ، تذرع بالاقدام الذي أعرفه فيك ، وانتهز الفرصة للمغامرة ، فقد بنى هذا السباق على المغامرات ، والى اللقاء ! ! »

فاز هذا الطيار كما قلنا بالجائزة الأولى في هذه المباراة ، فكان لابد للصحفيين كما هي عادتهم أن يتهافتوا على زوجته ، يسألونها شتى الأسئلة عن حياة زوجها ، وعن أسرار هذه الحياة ، فلم يجدوا الاهتمام باديا عليها ، لكن كان يتوقع هذا الخبر السار ، وابتدرتهم قائلة « لقد رجحت منذ اللحظة الأولى أنه سيكون موضوع الحديث في هذه المباراة ، فقد « أوحيت » اليه أن يكون كذلك حين ناولته « الجرعة » في المطار عند بدء قيامه بهذه الرحلة . »

قد يخيل لنا أن هذا الكلام حديث بسيط عادي . قد يقال مثله كل يوم على سبيل التحية أو التشجيع ، ولا أثر له في حياة الأشخاص . ولو تمعنا قليلا لعرفنا أن مثل هذه الكلمات القليلة هي إيحاء وتوجيهات توجه الأشخاص نحو وجهة معينة ـ إما الى النجاح ، واما الى الخيبة والفشل ، أو هي « جرعات » على حد تعبير « مسز سكوت » فيها الدواء الناجع ، أو السم القاتل

ولو رجعنا الى حوادث التاريخ ، وما التاريخ إلا تاريخ الشخصيات البارزة ، لوجدنا أن نجاح هذه الشخصيات ، وتوجيهها الى الوجهة المعينة التي ساروا عليها في حياتهم ، سببها ايحاءات « تجرعوها » من والديهم ، أو من أشخاص عظام قابلوهم في حياتهم ، أو حادثة بسيطة كانت هي الوحي التي وجهت هذه الشخصية نحو وجهة معينة ، أو عمل معين ، أو حرفة بذاتها

وقبل أن أسرد هنا عدة أمثلة من شخصيات معروفة ، وتأثير الايحاء في حياتهم أحب أن أعرّف الايحاء ـ الخارجي والنفسي ـ حتى أعقب على هذه الامثلة ، بدرس وجيز في كيفية

الايحاء فى نفوسنا وفى نفوس غيرنا ، حتى يمكننا أن نوجه أولادنا - رجال الغد - وجهات معينة فى الحياة ، هى النجاح والبروز والمثل العليا

* * *

قد كان الايمان بالوراثة عظيما فيما مضى ، وكان المظنون أن الانسان يرث الذكاء أو البلادة من أبويه كما يرث الشكل الخارجى ، من دمامة أو جمال ، طول قامة أو قصرها

ولكن علم النفس الحديث علمنا - لاسيما السيكلوجية السلوكية - أن الوسط دون الوراثة هو العامل الأساسى فى تكوين الشخصية ، والتى هى نتيجة التفاعل بين الفرد والمجتمع المحيط به . وأن الذكاء والبلادة يعزيان الى الاستجابات الأولى التى يستجيب بها الطفل للمنبهات من ايحاء أو تقليد وما هما - أى الذكاء والبلادة - إلا عادات انغرست منذ الصغر ، كعادات أخرى غيرهما مثل الشجاعة أو الجبن ، الكرم او البخل ، الحلم أو الحمق ، سرعة الخاطر أو خمول الذهن ، وغيرها كثير من الصفات التى كان يظن انها صفات موروثة ، وظهر بالتحقيق أنها عادات واستجابات للوسط ، وبمعنى آخر إيحاءات انغرست منذ الصغر فى العقل الباطن ، فكانت لها أعظم الاثر فى تكوين الشخصيات

ونظن أنه من التكرار الممل ، أو من نافلة القول ، أن نعرّف العقل الباطن ، أو الواعية الخفية ، أو اللاشعور ، فكلها أسماء لمسمى واحد ، أصبح معروفاً لجميع القراء . بفضل الكتاب الاجتماعيين ، ولا بأس من الايجاز حتى يستقيم المعنى فتتم الفائدة

للانسان عقلان عقل واع نعمل به أعمالنا على وعى بما نعمل ، وعلى انتباه بما نجرى من اعمال ، وكل أعمالنا تقريبا التى نعملها ، أو أقوالنا التى نقولها ونحن فى حالة اليقظة أو الانتباه هى من عمل العقل الواعى . ولكن هناك أعمالا نعملها ونحن فى شبه غفوة ، حتى اذا ماانتهينا الى هذه الاعمال تعجبنا لسخافتها أو لجودتها . كما أن هناك أقوالا تفلت منا فى أثناء غفوتنا ، أولعدم انتباهنا ويقظتنا نعجب لأنفسنا كيف صدرت منا أو « أفلتت » منا . كما أن هناك خواطر تجرى ، فيها السخيف وفيها المعقول . ونكاد لانعى بها الا اذا تنبهنا واستيقظ عقلنا . وكذلك فى النوم تجرى أحلامنا على غير وعى منا ، فيها السخيف الذى لامعنى له ، وفيها رؤى هى نتيجة انشغال بالنا وتفكيرنا فى موضوع يهمنا ويشغلنا

فهذه الأعمال ، وهذه الأقوال « المفلوتة » وهذه الخواطر ، وهذه الأحلام . كل هذه هى نتيجة العقل الباطن ، ذلك العقل الذى هو عبارة عن مخزن تختزن فيه الافكار والمناظر والأعمال ولا يظهر شىء من المخزون إلا عند غفوة العقل الواعى ، أو عدم انتباهه . فكل فكرة أو منظر اختزن فى العقل الباطن ، أو بمعنى آخر اندس فيه ، لهما اكبر الأثر فى توجيه أعمالنا ، وفى تكوين أخلاقنا وعاداتنا ، كما فى تكوين ميولنا وعواطفنا

فرب منظر رجل مخمور تراه وأنت صغير يقيء على ملابسه ، وما يكاد يقف حتى يقع ، وما يكاد يتكلم حتى يخلط ويتفوه بالشتائم ، هذا المنظر الكريه ، الذي يندس في عقلك الباطن وأنت صغير ، ربما يكون له أكبر الأثر في كراهيتك لشرب الخمر ، حتى اذا ما دعيت لشربه رفضت ، واذا ألحوا عليك فاضطررت الى تقريبه من فمك جزعت وتجشأت ، وأنت تعجب لهذا الجزع وهذه الكراهية ، مع أن أغلب الناس يشربون الخمر بلذة ونشوة . ولكن الواقع أن هذا الجزع وهذه الكراهية هما « ايحاء » الاشمئزاز الذي اندس في العقل الباطن . فكان لهذا لايحاء أكبر الأثر في توجيهك في الحياة وجهة معينة هي كراهيتك لشرب الخمر

يتبين من ذلك ان الايحاء هو قول ، أو منظر ، أو عمل اندس في العقل الباطن فكان له الأثر في توجيه « الشخصية » وجهة معينة سواء النجاح أم الفشل . للخير أم الشر

* * *

والآن ننتقل بالقاريء الى أمثلة معروفة وغير معروفة من الشخصيات التي كان للايحاء أكبر الأثر في تكوين شخصياتهم ، أو توجيههم الى حرفة بالذات

ونظن أن أحسن الأمثال لتأثير الايحاء في تكوين الشخصية ، شخصية محمد على الكبير ، رأس الأسرة المالكة في مصر ، ذلك الرجل الذي كان أولى به خمول الذكر ، كغيره من الشخصيات ، الذين نشأوا في بيئة مثل بيئته ، ونبتوا من اسرات كأسرته . ولكن محمداً عليا هذا قيض الله له والدة عظيمة ناولته « الجرعة » وهو صغير

يحسن بنا أن ننقل ما كتبه المرحوم الياس الأيوبي في كتابه « محمد على . سيرته . وأعماله وآثاره » حيث قال :

« كانت أم محمد على امرأة حادة الشعور ، حمساء الخيال ، يدل على ذلك المنام الذي يقال انها رأته وهي حامل بابنها المجيد . وفسره لها بعض العرافين ، فأكد لها انه يبشر بمستقبل عظيم لثمرة بطنها . فلما بلغ ولدها في أول صباه من السن ماجعله قادراً على التفهم ، فانها ما فتئت تخبره بذلك المنام . لتوجد في فؤاده الميل الى عظائم الامور ، وتنحيه وتعززه

«ولكثرة ترديد هذا المنام على محمد على ، أخذ هذا المنام ، وهو كبير ، يتردد كثيرا على مخيلته ، ويوقظ فيها أوهاماً غريبة جعلته يحلم ، ذات ليلة ، أنه ظميء ظمأ شديدا ، فشرب كل ماء النيل ولم يرتو . فلما كان الصباح ، قص منامه على شيخ مسن كان يعرفه ، وكان لهذا الشيخ دراية بتفسير الاحلام ، فقال هذا له « أبشر يابني فان منامك يعني أنك ستملك وادي النيل بأسره ، ولن تكتفي به ، بل ستسعى الى امتلاك أقطار غيره ! ! » فهزأ محمد على بالتفسير . لانه استبعد الامر جداً ، ولكنه بالرغم من ذلك ، رأى ان مخيلته أخذت تزداد تغذيا بما كان يساورها من أوهام

« حتى اذا ما اضطرت تركيا الى ارسال حملة من رجالها الى مصر لاخراج الانجليز منها ، وتكليف الدولة للوالى الذي كان يحكم الولايه التى منها محمد على ، وتكليف هذا الوالى بدوره محمد على أن ينضم الى الفرقة التى سيبعث بها تحت قيادة ابنه ، ورفض محمد على فى أول الأمر الانضمام الى هذه الحملة ، لأنه كان فى ذاك الوقت قد تزوج بغنية واستتب له العيش الرغيد فى تجارة الدخان . الا أن الحظ ارسل له فى تلك اللحظة ذلك الشيخ الوقور الذى كان قد فسر له منامه ، فقال له هذا « أنت غلطان ياصديقى . اجل ان الطريق لطويلة ، ولكنها توصل الى العلا ! » فرنت كلماته هذه فى آذان محمد على فكأنها صوت المستقبل ، وفتحت أمام عينيه آفاقا زاهرة وقد قال هو نفسه فيما بعد ! « ان كلام ذلك الشيخ الذى كنت أثق به وثوقا كبيرا أقنعنى ، فعدت الى الوالى ، ووضعت نفسى تحت تصرفه ! »

هذا الذي قصه المرحوم اليـاس الايوبى فى كتابه عن محمد على ، هو الايحاء الذى تلقاه أو تجرعه محمد على وهو صغير ، وكان لهذا الايحاء اعظم الاثر فى حياته حيث وجهه وجهة معينة نحو الفتح والاستيلاء ، وتولى سلطة مصر رغم ما اعترضه من عقبات يذكرها كل من قرأ تاريخ هذه الحقبة من تاريخ مصر

« * »

وقد ذكر الاستاذ عباس محمود العقاد فى احدى مقالاته عن الشيخ محمد عبده ، وعن أثره فى حياته . قال : « قدمنى الى الشيخ محمد عبده استاذى الشيخ فخر الدين محمد ففسح صدره لمناقشتى وقال الشيخ فخر الدين بعد اطلاعه على طرف من موضوعاتى الانشائية ، ما أجدر هذا أن يكون كاتبا بعد — ثم قال — أعنى الاستاذ العقاد — وما أحسب أن كلمة الشيخ محمد عبده فى تشجيعى واستحسان موضوعاتى الانشائية قد كان لها أثر غير ضعيف فى توجيهى الى الحياة الادبية »

والواقع ان هذه الكلمة التى قالها الشيخ محمد عبده ! لم يكن لها أثر غير ضعيف فحسب فى توجيه الاستاذ العقاد الى الحياة الادبية ، واتخاذه حرفة الادب والصحافة مهنة له ، بل كان لها كل الاثر ، بل كانت الايحاء والجرعة فى توجيهه الى هذه الحياة ، ولولا هذه الكلمة ، بل لولا هذا الايحاء له لما كان الاستاذ العقاد الا موظفا فى الحكومة وهى أمنية كل شاب كان على بعض العلم فى عهده ، أو كان شيئا آخر غير هذا الذى يحيا به ، ومنه ، وله ، أعنى الادب

* * *

ومن الذين كان للايحاء اعظم الاثر فى تكوين شخصيتهم ، بل لتوجيه حياتهم الى الزعامة

وانعظمه ، « ابراهام لنكولن » أحد رؤساء الولايات المتحدة الذين تدين لهم تلك الولايات اليوم بما فيها من تقدم ورقى . فقد كان والد لنكولن نجارا عاديا ، ولكن والدته كانت تعنى به العناية كلها فما كاد يتعلم مبادىء القراءة والكتابة حتى اختارت له من الكتب ، الكتاب المقدس وكتابا عن حياة « جورج وشنجتون » وكثيرا ما كانت تحدثه عن تاريخ حياة هذا « العظيم » محرر امريكا وتغرس فى نفسه حبه ومحبته لأعماله المجيدة التى قام بها . وما كادت تموت هذه الوالدة العظيمة وتترك ولدها فى العاشرة من عمره حتى كانت قد ناولته « الجرعة » وهى حبه لواشنجتون العظيم ، حتى ادمن قراءة الكتاب الذى يحوى تاريخ حياته ، والذى تركته له أمه قبل وفاتها وحياً له وهاديا

ولئن كان أعظم الفضل فى تحرير الولايات المتحدة يعزى لواشنجتون ، فان اعظم الفضل فى اصلاحها ، والقضاء على ما كان فيها من اضطراب ، يعزى إلى لنكولن ، الذى اتخذ من حياة واشنجتون مثالا يحتذى بل الذى اندست حياته وأعماله فى عقله وهو صغير ، وكان لها اعظم الاثر فى توجيه حياته الى ترسم خطاه

* * *

هذه أمثلة معروفة عن حياة بعض الناس ، وعن مبلغ أثر الايحاء فى نفوسهم ، ولكن الآن اسمحوا لى ان أحدثكم عن نفسى .. راجيا من سعة صدوركم ان تغفروا لى هذا السخف ، وماذلك إلا فى سبيل التدليل على النظرية العلمية التى أحدثكم عنها

نشأت وأنا صغير فى منزل عمى ، وهو محام قديم تخرج من الحقوق فى عام ١٩٠٤ ، وكان مكتبه فى الدور الاول من منزله ، وكان هذا المكتب عامرا بمختلف القضايا ، عامرا بمختلف المتقاضين حتى لا أكون مغاليا إذا قلت هنا ان حجرات مكتبه وردهاته تزدحم يوميا بحوالى خمسين متقاضيا ، هذا غير الذين فى الخارج أمام المكتب فى انتظار أقاربهم ، وحدهم أو معهم حميرهم التى كانت الوسيلة الوحيدة للمواصلات بين أسيوط والارياف التى حولها . ولا أغالى إذا قلت أن سوقا حاشداً يجتمع يوميا فى المكتب وخارجه ، كما لا أخفى أيضا ان تلك الايام هى الايام البكر للمحاماه التى كانت تغل على محترفيها مايذله منجم من ذهب

نشأت فى هذا الوسط فى سن هى سن التلقين ، هى سن المحاكاة ، هى سن قبول الايحاء النفسى بسهولة وبتركيز

ثم بعد ذلك تركت اسيوط وتركت منزل عمى ، بل مكتب عمى ، مدة خمسة عشر عاما تقريبا لم أر فيها أسيوط إطلاقا ، ولم أر لا منزل عمى ولا مكتبه ، ولم افكر فى حياتى فى اسيوط ، إلا كما يفكر

الرجل فى طور طفولته بمناسبات متفاوتة

ثم عشت فى القاهرة ، وتعلمت فى مدارسها ، وكنت متفوقا فى الرياضيات ، بارعا فى الرسم ، حتى كان يتردد على ألسن الأقارب والمعارف وعلى لسانى أيضا ، بأننى سأصير مهندسا ، ولذلك عندما أحوز البكالوريا سألتحق بمدرسة الهندسة ... وكم كانت مدرسة الهندسة هى التى أقول ويقال لى بأنها هى مصيرى فى النهاية

نجحت فى امتحان الكفاءة ، وكان الواجب مادام فى نيتى أن التحق بالهندسة أن أدخل القسم العلمى ولكن لا أعرف لماذا ترددت فى ذلك ، وأصبح التردد يقض مضجعى فى الليل ، ويجعلنى فى النهار أكثر من الاستفهام من أصدقائى وأقاربى عما يفضلون ، هل القسم العلمى أم القسم الادبى ، وأخيراً أشير على من أصدقائى عندما رأوا شدة ترددى ، وعدم ظهور ميل شديد عندى لتفضيل احدهما على الآخر ، أشير على بأن احكم القرعة فى ذلك ، وسرعان ماكتبنا ورقتين مطويتين ، إحداهما تحوي القسم العلمى والأخرى القسم الادبى ، وفتحنا احداهما فكانت الادبى ... وعندئذ تنفست الصعداء وصممت نهائيا على دخول القسم الادبى ، وهذا ماكان

ثم بعد ذلك نجحت فى البكالوريا ، وانتابنى التردد فى هذه المرة باشد مما انتابنى فى المرة الاولى فتذكرت القرعة ، وبين جمع من اصدقائى حكمنا الورقات المطوية .... وكانت اربعا تحتوى على الحقوق والزراعة والتجارة والمعلمين ، ولما فتحنا احداها كانت الحقوق ، فهللنا وتنفست الصعداء ... أيضا ، ودخلت كلية الحقوق بسهولة

ثم تنتهى هذه القصة الطويلة المملة ، بنيلى شهادة الحقوق ، وبالتفوق فى الترتيب نوعا يسمح لى بالسعى وبالنجاح فى الحصول على وظيفة فنية فى الحكومة ، ولكنى لم اسع لذلك مطلقا وكنت ارفض بإباء الالتحاق باى وظيفة ، والتقيد بقيودها وأغلالها كما كنت ازعم ، وفى الاعمال الحرة متسع لأمثالى الذين وطنوا أنفسهم على ذلك فى مبدأ التحاقهم بالمدارس العاليه . ثم بعد ذلك أتعرف ماذا عملت ؟؟ اشتغلت بالمحاماة .... وأين ؟ مع عمى فى اسيوط حيث قضيت مدة التمرين ، وبعد ذلك قضيت مدة ليست بالقصيرة باشتغالى بالمحاماه هناك

هذه القصة تبين كيف أن الايحاء النفسى فى الصغر نبت وكبت فى العقل الباطن . وكيف حصل النزاع بين العقل الواعى والعقل الباطن ، فألقانى فى التردد مرتين ، كنت فيهما بعقلى الواعى ازن الامور ، وأوازن بين مواهبى الطبيعية فافضل القسم العلمى لأن هذه المواهب تساعد على ذلك أولا وثانيا لأن مجال القسم العلمى اوسع آفاقا وأكثر رزقا كما كانوا يقولون ، ولو أن الرزق بيد الله .... وبعقلى الباطن ، ذلك العقل الذى يعمل فى سكون ، ويدبر فى تصميم ، ويوجه الانسان بكليته وهو

لايدري الى مايقصد ، مهما كانت الحوائل والظروف حتى كان ينتهى هذا التردد بتحكيم سخيف هو تحكيم أوراق صامتة ، غير معززة بدليل أو إقناع ، فكانت المصادفة وحـدها هى التى تبت فى الموضوع بتاً مريعا ، ولو كانت القرعة على خلاص ذلك فى الحالتين ، لتجـدد التردد مرة أخرى ، وما اشتبك العقـلان فى نزاع مرة ثانية وثالثـة حتى ينتهى النزاع بانتصار العقل الباطن ، ولو على اوهى الاسباب ، لأن فى العقل الباطن تنبت الفـكرة وترعرع وتنمو مع الانسان ، ولا يمكن ان تقتلع بسهولة وان توجه الانسان وجهة مضادة لها ، لأصابة الفشل والخيبة طول الحياة ، لذلك النزاع الدائم المستمر بين العقل الواعى والعقل الباطن

والآن أؤكد ان كل فرد بيننا إذا بحث فى تاريخ نشأته ، لوجد ان شخصيته وحرفته تكونت بالايحاء وقت الصغر ، وقت تهيؤ الانسان للتلقين ، فنمت وترعرعت مع الايام

حتى ان امثالنا العربيـة والعامية هى تعزيز لهذه النظرية ، فما قول العامة «الواد يطلع لخاله » والمثل العربى « هذا الشبل من ذاك الاسد » إلا دليل قاطع على ان الطفل الصغير يشب ويترعرع ويكبر وقد لبس شخصية اقرب الناس اليه ، وذلك بالايحاء والتلقين

وهناك مثل ملموس فى اسرة مشهورة هى اسرة توفيق باشا دوس ، فان التوفيق الذي اصابه فى مهنة المحاماة جعلت اطفال الاسرة يشبون وهم لا يسمعون فى منازلهم غير هذا التوفيق وغير هذه الشهرة ، وهذه الثروة التى اصابها من مهنته ، فانزرعت فى نفوسهم ، ونبتت فـكرة المحاماه فى عقولهم الباطنة ، حتى نجد اخويه محامين ، وثلاثة من اولاده تخرجوا من كلية الحقوق ، وأولاد اخوته خمس محامون ، وابنة اخيه محامية أمام المحاكم المختلطة ، هذا غير الذين فى الحقوق ، والذين فى نيتهم الالتحاق بالحقوق

« * »

إن الايحاء له قوة عظيمة على النفس ، حتى لقد استخدمه علماء النفس فى شفاء الامراض النفسية المزمنة ، التى لم ينفع فيها علاج ولا عقاقير . وقد عرف العلماء الجنائيين ذلك ، فاستخدموه فى كشف الجرائم ، حتى لقد قيل فى المؤامرة الروسية الأخـيرة ان البوليس أرغم المتهمـين على الاعتراف . وذكرت بعض الدوائر أن نوعا من العقاقير يستعمل لحمل المتهمين على الاعتراف . وقد ظهر أن هذه كلها تـكهنات ومن قبيل الرجم بالغيب ، فان الحقيقة هى أن الايحاء وحده هو الذى استخـدم فى إرغام المتهمين على اعترافات حقيقية واعترافات وهمية ، يدلنا على ذلك مافاه به «رادك» أحد المتهمين فى المؤامرة الاخيرة ، وهو كاتب شيوعى لايشق له غبار ، حيث قال جملته الساخرة اللاذعة فى حرم المحكمة « سأعترف بما أعلم وبما لا أعلم ... »

فان الحقيقة هى أن الايحاء وحده هو الذى استخدم لحمل المتهمين على اعترافات مخصوصة ، حتى لقد قيل ان الطريقة الآتية هى التى استعملت ، وهى أنهم وضعوا فى غرف السجن مكبرات للصوت فتبدأ أولا بصوت خافت تهمس عند نوم السجين توجد مؤامرة عظيمة ... انت مشترك فيهـا .. توجد مؤامرة أنت مشترك فيها .. توجد مؤامرة انت مشترك فيهـا ... ويستمر مكبر الصوت فى ترديد هذه العبارة ليلة بعد ليلة ، وفى خلال النهار لا يسمح لانسان بان يكلم السجين كلمة واحدة. وفى الليل يبدأ الصوت ثانيا ولكن فى عبارات أطول من الاولى : « انك وان كنت نائما فانك تسمعنى ، توجد مؤامرة ... وانت تقتل فيهـا زيدا ... أنت تقتل زيدا ... أنت تقتل زيدا ... تذكر أنك انت الذى تقتل زيدا ... » ثم توضح المؤامرة للسجين بالتفصيل الذى يريدونه أن يعترف به ، وفى النهار يعذب ويعاقب جسمانيا دون ان يحادثه احد بكلمة واحدة بحيث يصبح الموت شيئا مرغوبا فيه ، وأخيرا يعترف بما يراد ان يعترف به ، ويكون هذا الاعتراف هو نتيجة الايحاء المستمر دون انقطاع ودون تغيير فى الصوت او اللهجة ، أو نغمة الكلام ، فى الوقت الذى يكون فيه فى حالة « قبول الايحاء » أى عند ابتداء النوم

فتصور هذه القوة العظيمة — قوة الايحاء — التى تلقى بالنفس إلى غياهب السجن ، ان لم يكن الى ساحة الاعدام

فمن ذلك يتبين ما للايحاء من قوة عظيمة على النفس ، وأن للايحاء وقتا معينا هو وقت غفوة العقل الواعى ، أى فى الوقت الذي بين النوم واليقظة ، اي عند ابتداء النوم . هذا فى الكبار . اما فى الصغار فهو السن الصالحة كل الصلاحية لقبول التلقين والايحـاء ، حتى لكم شبهنـا الطفل بالقرد لكثرة ما يحب ان يقلد الكبار

فالايحاء فى زمن الصبا من اعظم القوى فى توجيه الشخص الى وجهة معينة فى الحياة العملية ، كما أنه من اقوى البواعث على النجاح . فقد ينغرس الميل الى العسكرية من بذلة حربية يلبسها الطفل فى احد الأعياد يخطر بها وهو يجلجل بسيفه ، ويسمع كلمات الاطراء من والديه . او يسمع ألقاب التفخيم والرتب العسكرية العظيمة من الخدم او ممن يعجبون بمنظره فتبقى هذه الذكرى كامنة فى عقله الباطن حتى يبلغ سن الشباب فيميل بكليته الى الحياة العسكرية

او طفل آخر استصحبه والده وسمعا معا لمحاضر او خطيب فصيح نال الاعجاب ، وألهب أيدى السامعين بتصفيق الاستحسان ، وسمع من والده كلمات الاطراء والمديح لهذا الخطيب فاندس فى عقله الباطن هذا المنظر ، وهـذا المديح والاعجاب ، حتى ليكاد يرى هـذا المنظر مراراً وتكراراً فى خواطره وأحلامه ، وحتى ليراه بعض الاحيان يعتلى كرسيا ، ويصرخ بأعلى صوته مقلداً الخطيب

حتى اذا ماشب وترعرع ، وبلغ مبلغ الشباب ، مال بكليته الى حرفة تمت الى الخطابة بصلة فتجده إما محاميا او خطيبا فى مسجد او مدرسا اوما شابه ذلك

فقلما تجد واحداً من الناجحين فى اعمالهم وتسأله عن ايام صباه حتى تري ان الميل قد انغرس فيه منذ الصبا . ولذلك يمكننا أن ننزع من عقولنا فكرة الحظ ، او القضاء والقدر ، او ترك الطفل للظروف التى تهيؤ له الميول الخاصة التى توجهه فى الحياة وجهة خاصة ، بل يمكن الابوين العاقلين ان يوجها طفلهما وجهة معينة فى الحياة ، ويغرسا فى نفسه عادات بعينها كالشجاعة وضبط النفس ، والحلم والكرامة والتسامح كما يوجهانه الى حرفة بعينها ، بتحبيبه إياها وإطراء محترفيها ودوام ذكر الخير والمال الذي تدره على من يزاولها الى آخر هذه المغريات التى تنغرس فى العقل الباطن على توالى الايام فتتوجه اليه ميوله ولا يمكن ان يتحول عنها مهما كانت الظروف إلا إلى فشل محقق لأن الفشل فى عمل ما ، ماهو الا توجيه شخص الى عمل لارغبة له فيه

يعيبون على الشباب تهافتهم على وظائف الحكومة ولو انصفوا لعلموا أن هذا ما أوحى اليهم به منذ الصغر ، فهم لم يسمعوا ثناء فى غير وظيفة الحكومة ، وما تدره من مرتب صغير مضمون ، خير مما تدره الأعمال الحرة من إيراد غير مضمون ، والفتاة ذات المائة فدان تفضل ويفضل ابوها أن يكون زوجها موظفا ذا مرتب صغير على ذي المهنة الحرة التى تدر اضعاف ماتدره الوظيفة الحكومية ، « وان فاتك الميرى فتمرغ فى ترابه » حتى مات فى الشباب روح المجازفة وأصبح الراسخ فى ذهنه ، إن لم يصر موظفا فى الحكومة طوحت به الاقدار إلى المسغبة والعرى الى البؤس والشقاء . ولو دروا لعلموا ان وظيفة الخادم فى المشرب تدر عليه أكثر مما تدره الدرجة السادسة فى وظائف الحكومة

أوحوا إلى ابنائكم ، ولقنوهم منذ الصغر ان وظائف الحكومة اغلال وقيود وان المهنة الحرة متسعة الآفاق وان ذوي الثروات الضخمة لم يجمعوها من وظيفة حكومية بل من التجارة والصناعة وأن الحياة جهاد ومنافسة وابتكار ومجازفة ولا عاش من كان جبانا

فيأيتها الأمهات ، وأيها الآباء أطفالكم وديعة بين أيديكم ، نجاحهم فى الحياة وفشلهم فيها يرجع اليكم وإلى تلقينكم . فعلم النفس الحديث اثبت بالبراهين القاطعة التى لاتحتمل الجدل والنقاش أن الشخص هو ابن الوسط والبيئة ، والوراثة لاشأن لها فى تكوينه وتنشئته فابن الكذاب ليس كذابا بالوراثة من أبيه بل بتقليد أبيه فى الكذب وابن المحامى لم يرث المحاماة عن والده أو عمه بل أصبح محاميا للايحاء والتلقين اللذين وجهاه إلى هذه المهنة منذ الصغر ... وهكذا

فالآن ترون أن المفتاح فى أيديكم يمكنكم أن تفتحوا الباب الذى يوصل الى الطريق المؤدي الى ماترغبون فيه لأنفسكم ومن تتولون رعايتهم وتنشئتهم

قصة الفلاح الفصيح

للآنسة إيريس حبيب المصرى

للمصرلوجى الأمريكى الكبير برستد مؤلفات ثمينة عن حضارة الفراعنة . وقد كان هذا العالم الأثرى يجىء الى مصر من حين إلى حين لكى يجدد معلوماته ويوسع معارفه غير مكتف بما وعاه صدره . ومن أعظم كتبه مؤلف دعاه « فجر الضمير » أثبت فيه ان الحضارة المصرية هى التى يرجع اليها ما بلغه المجتمع الانسانى الحاضر من مستوى أخلاقى رفيع . وقد وصف أحد كبار الصحفيين هذا الكتاب بأنه « يوقفنا على تكوين أعظم تطور فى تاريخ الكون — ذلك التطور العجيب الذى به انتقل الانسان من تذليله القوى المادية إلى الاكتشاف المدهش لقيمة القوى الداخلية والانتصار على النفس وإدراك المسئولية الاجتماعية »

ويتضمن هذا الكتاب فصلا بديعاً بعنوان « أقدم الرسل الاجتماعيين » يصف فيه المؤلف كيف انه قبل أربعة آلاف من السنين سما أفراد من الناس حتى استطاعوا أن يحلموا بمجتمع أمثل وكان أولئك الحالمون ينقسمون فريقين : فريق يذهب إلى أن العصر الذهبى لن يجىء إلا متى جلس على العرش حاكم أمثل . أما الفريق الثانى فكان يذهب إلى ان الحاكم لا يتهيأ له الاصلاح مالم يكن الرجال المحيطون به والموكول اليهم أمر إقامة الدول والهيمنة على شؤون السياسة رجال عدل وانصاف . وبعبارة أخرى كان رأى الفريق الأول أن صلاح الرعية بصلاح الحاكم . ورأى الفريق الثانى أن صلاح الحاكم بصلاح رجال حكومته وأركان دولته . وكان رجال الفريق الثانى يؤمنون على الدوام بأن الغلبة حتما للحق والبر مدى الدهر — ويستمسكون بالأمل فى أن البر (ويرمزون اليه بالفظة ماعت) لاشك عائد إلى السيطرة على نظام المجتمع المصرى

وقد أبانوا عن آمالهم هذه فى رسالة يصح أن تسمى بالفلاح الفصيح . وهى رسالة طريفة تعد صحيفة بديعة من صحائف الأدب المصرى القديم ونموذج عظيم للروح التى كانت تسود المجتمع المصرى وتعرب عن رأيه فى العدالة وفى علاقات الحاكمين والمحكومين . ولا يعرف إسم مؤلف هذه الرسالة الذى كتبها فى قالب روائى وابتكرها خصيصا ليجعل منها وسيلة للبحث عن شخصيات

رجال الحكم والصفات التي يجب أن يتحلوا بها والنهج الذي ينبغي لهم أن ينهجوه في الادارة وفي المجتمع وما ينشأ عن ذلك من عدل وخير . وقد عالج المؤلف مشكلة لا تزال قائمة الى اليوم . واننا اذ نقرأها يخيل لنا أن الكاتب يطرح علينا مسألة من أمهات المسائل التي تشغل بال الجماهير في الوقت الحاضر

وهاك القصة :

كان بمديرية الفيوم بوادي النطرون في الصحراء الغربية فلاح يقطن في قرية اسمها « غيط الملح » واتفق أن وجد المؤونة المخزونة في داره قد أوشكت على النفاد . فحمل على حميره بعض منتجات قريته من ملح ونطرون وذهب بها الى هرا كليوبوليس عند مدخل الفيوم ليستبدل بها قمحا . وكان لابد له أن يمر في طريقه بمنزل رجل يدعى توتناخت — أحد أتباع رنسي الذي كان أمين الخرج لبيت فرعون نفسه . واذ رأي توتناخت الفلاح مقبلا يسوق حميره أمامه فكر في حيلة يحتال بها لنهبها منه . فأرسل على الفور خادما الى منزله أحضر له صندوقا الى منزله ممتلئا بملاءات بيضاء أخرجها وفرشها على قارعة الطريق . فغطى الطريق كله من ناحيتيه : من حافة الحقل من ناحيته العليا الى حافة الترعة من ناحيته السفلى . وذلك لكي يسد الطريق في وجه الفلاح الذي كان غير عالم بما دبر له — وخشي الماء فقاد حميره صوب الحقل عند طرفه — وعند مرور الحمير بالحقل قضم أحدها سنبلة من السنابل القائمة المغرية . وكانت هذه القضمة هي الفرصة التي ينتظرها توتناخت للعمل . لذلك أسرع فقبض على زمام الحمير وأخذها . فاحتج الفلاح على ذلك في لطف — ولكن دون جدوي . فكرر احتجاجه وأضاف كلمة جريئة حيث قال : « انني على حق — فالطريق مسدود أمامي لذلك مررت بمحاذى جهة الحقل فأخذته مني لانه قضم قضمة من القمح . والآن أنا أعرف سيد هذه الناحية اذ هي ملك لأمين الخرج رنسي بن ميرو . وهو بعينه الذي يطارد اللصوص في كل مكان — أأسرق أنا في أرضه ؟ »

فثارت ثائرة توتناخت لهذه الكلمات المهينة وأمسك بفرع شجرة وجعل يضرب الفلاح دون رحمة أو شفقة رغم صراخه واحتجاجه . وساق الحمير كلها الى اسطبله . وبعد احتجاج مدى أربعة أيام دون جدوى عول الفلاح على أن يرفع مظلمته الى رنسي نفسه

فقد كانت أسرته وشيكة أن تتضور جوعا . وشجعه على هذا العزم ما هو معروف بين الجميع من عدالة الامين . واتجه نحو المدينة وهو يؤمل مقابلته . ولحسن حظه رآه وقد أوشك أن يركب زورقه الاميري فوق الترعة . وتمكن بكل أدب وفي كثير من اللباقة وحسن الذوق أن يلفت نظر رنسي اليه لحظة وهو سائر نحو زورقه . فأرسل اليه رنسي رجلا يستعلم منه عن حاجته فلما

عاد الخادم وقص عليه ما سمعه من الفلاح طرح رنسي المسألة على مسامع أتباعه من رجال الحكم. وفي الحال اجمع زملاء الامين على تخطئة الفلاح وتبرئة توتناخت . وأجابوا دون ا كتراث بأن الامر لابد متعلق بفلاح دفع الضريبة الى موظف غير الموظف الموكول اليه قبضها . وأن توتناخت لم يفعل على الارجح سوي أنه استولى على ما يحق له أخذه . وتساءلوا في شيء من الغضب :

« أيعاقب توتناخت لاجل مقدار ضئيل تافه من الملح ومن النطرون ؟ فان كان توتناخت قد أخطأ ولا بد من عقابه فليؤمر أن يعيد ما أخذه وهو سيعيده بلا شك » وعلينا أن نلاحظ أن هذا التجاهل من جانب أولئك الموظفين لبؤس الفلاح ولحاجته الشديدة الى دوابه ولما كانت تتعرض له أسرته من الجوع انما هو من الطبائع الملازمة لطبقتهم

ويقف الفلاح جانبا يسمع حكمهم الجائر وتجاهلهم لحقوقه بينما رنسي صامت يفكر . وصورتهم على تلك الحال صورة مصغرة لمشكلة اجتماعية خطيرة هي مشكلة الاجيال جميعا : ففي ناحية وقف جماعة من طبقة الحكام المتقلبة في رغد العيش وبسطته ورفاهيته المستعدة دائما للانحناء أمام رؤسائها وتنفيذ رغباتهم ، والى اظهار الغطرسة والجبروت والتحكم في مرؤوسيها . وفي الناحية الاخرى وقف الفلاح المسكين المهضوم الحق في وحدة ويأس — فياله من مثل مؤلم لصيحة الألم من الظلم والجهاد الصامت في طلب العدل ؛ وهذا المنظر من أقدم الامثلة للمهارة المصرية في تصوير المبادىء المعنوية في صورة ملموسة

وحين رأى الفلاح أن الامين لا يتلفظ بكلمة قام بمجهود جديد لعله يفلح فيقي أسرته غائلة الجوع فتقدم الي الامام وبفصاحة مدهشة خاطب الرجل العظيم الذي في يده مقاليد الامور متمنيا له سفراً سعيداً ومرددا ما سمعه عنه من حسن المعاملة وختم نداءه قائلا : « فأنت والد لليتيم وزوج للارملة وأخ للمعدم وجابر للعثرات . دعني أضع اسمك في هذه البلاد فوق كل قانون أيها القائد المتحرر من البخل أيها الرجل العظيم البعيد عن كل صغيرة . أنت الذي تقضي على الشر وتثبت دعائم الحق والبر . استجب لصرختي التي يفوه بها لساني . وحين أتكلم اسمع لي — أقض لي بالعدل يامن يمتدحه الجميع ومن يقضي عليه العظماء . أنقذني من بؤسي . أنظر الى فان حملي ثقيل وامتحني فتجدني خاسرا »

وقد سر أمين الخرج من فصاحة الفلاح الى درجة أنه تركه دون البت في أمره . واتجه في الحال صوب البلاط حيث قابل الملك وقال له « ياسيدي لقد عثرت على فلاح ممن يحسنون الكلام حقا » فاشتاق الملك الى سماع هذا الفلاح وأمر الأمين أن يقوده الى البلاط دون البت في مسألته حتى يلقى مظلمته باحاديث أخرى كما يأمر أن يدوّن كل مايقوله الفلاح وأن يقدم له الطعام والشراب

وان يرسل خادما الى قرية الفلاح ليقدم الى أسرته ما تحتاج اليه من مأكل وملبس حتى لا يضنيها الجوع وهو فى البلاط . وكانت نتيجة هذه التدابير أن تقدم الفلاح بشكواه وألقى على مسامع رنسى تسع طلبات . وأولى الطلبات التى أبداها الفلاح على مسامع الأمين رنسى تعرب عن شدة ماشعر به من الخيبة لأنه كان ينتظر العدل فلم يجده وخاصة لأنه سمع عن عدالة الأمين التامة التى لا تحيد قيد شعرة عن الحق . ثم يبدأ شكواه الثانيه بتأنيب يقاطعه فيه رنسى بالتهديد . ولكن الفلاح لا يضعف ويستمر فى تأنيبه . ثم يترك التأنيب جانبا ويعود الى المدح والثناء فى طلبته الثالثة فيقول : ياسيدى ـ انك رع سيد السماء مع أتباعك . وفى يدك أمر جميع الناس لأنك تقوتهم كالفيضان . أنت النيل الذي يزهر الحقول وينبت الأرض المجدبة . ادفع عنا اللصوص واحم البائس . ولاتكن شديدا على من يتقدم بالشكوى اليك . احترس فالأبدية تقترب . اختر العمل لأنه قيل « ان العدالة هى الجو الذي يستطيع الناس فيه أن يتنفسوا ولولاها لاختنقوا » . فاوقع العقاب على من يستحق العقاب ولن يوجد نظيرك . هل يخطيء الميزان ؟ هل يميل قب الميزان الى ناحية دون الاخرى ؟ لاتتكلم بالكذب لأنك عظيم والعظيم مسئول . ولاتكن مهذارا لان لكلماتك قيمتها . لاتتفوه بالكذب لأنك ميزان ولا تمل مع الهوى فأنت البر . أنت والميزان سواء فان حاد الميزان حدت أنت . ان لسانك لسان الميزان وقلبك كفته وشفتاك قبه . »

وتشبيه الامين وشخصيته وصفاته بالميزان يتكرر فى أحاديث الفلاح . ومعناه واضح : فان الحكام هم الذين فى أيديهم إقامة العدل ـ فان حادوا فأين يوجد ؟ والمطلوب منهم أن يوازنوا بين العدل والظلم وأن يصلوا الى حل عادل بصحة الميزان الدقيق الصنع . وهكذا صار الميزان رمزاً شائعا فى الحياة المصرية الى أن صار مثلا ناطقا فى محاكمة النفس بعد الموت . ولأول مرة يرمز بالميزان الى العدالة ولأول مرة تستعمل هذه الكلمة للتعبير عن فكرة معنوية . وقد وصل هذا الرمز الى عصرنا فى تمثال العدالة المعصوبة العينين الحاملة الميزان . والميزان حين استعمل فى هذه القصة منذ أربعة آلاف سنة لم يستعمل كوحدة فقط بل استعملت أجزاؤه كأمثلة لاستقامة الحكام

والفلاح يذكر رنسى بانه هو نفسه سيقف أمام عرش أوزوريس ليدان بحكم الميزان الذى لن يحيد إذ يقول «احذر لان الابدية تقترب» وهذا نداء نادر فى المقابلة بين الظلم الحاضر والمسئولية فى المستقبل

ويشتد تهديد الفلاح لامين الخرج فيغضب هذا ويأمر اثنين من خدمه بان يضرباه . ولكن على الرغم من ذلك لايتزعزع الفلاح ولايضطرب بل يقف ثابتا فى مكانه منتظرا الامين وهو خارج من المعبد الملوكى متجها نحو منزله . فيقدم له شكواه الرابعة ثم ينتقل الى الخامسة التى وان

كانت أقصر طلباته إلا أنها أقواها فى شدة ماتتضمنه من تهديد وضيق . فيقول له « لقد تقلدت منصبك لكي تستمع الى الشكاوي وتحكم بين المتخاصمين وتدفع أذى اللصوص . ولكنك تقف فى صف المعتدى . ويحبك الناس مع أنك معتد . لقد توليت الامر فينا لتكون سداً منيعا تحمى الفقير من الغرق ولكنك صرت له فيضانا يطغى عليه »

ولكن رنسى لايكترث للشكوى ولايعبأ بها . وعندئذ يعمد الفلاح الى طلب سادس فيحاول اكتسابه بان يثير فيه روح العدل ويذكره بصيته وبما هو مشهور عنه من حسن المعاملة . إذ يقول « أيها الامين ـ ياسيدي ـ حطم الظلم وأقم دعائم العدل . ثبت كل ماهو حق وأزهق كل ماهو باطل كالشبع الذي يذهب بالجوع ، وكالكساء الذى يغطى العرى ، وكالسماء التى تهدأ بعد العاصفة فتدفىء المقرور ، وكالنار التى تنضج الطعام ، وكالماء الذي يطفىء العطش »

ولما لم يتحرك رنسى بعد هذا النداء يثور الفلاح غضبا من جديد ويعود الى التهديد والوعيد فيقول « لقد تعلمت وتهذبت وتربيت ولكن ليس للسرقة . لقد اعتدت أن تفعل كما يفعل كل أترابك وسقطت فى الشباك . أنت الاستقامة ولكنك اكبر معتد فى البلاد بأسرها . ان بستانى الشر يروى حقله بالاثم حتى تنبت مزارعه الكذب وتملأ أرضه شرا ووبالا »

ولكن هذه التهديدات لم تغنه فتيلا ولم تجده نفعا . فيتقدم الفلاح بطلبته السابقة . ويبدأ بعبارات طنانة من المدح والاطراء فيصف رنسى بانه « الدفة التى تسير سفينة البلاد بأسرها . » ثم لايلبث حتى يعود الى تذكر بؤسه وحاجته فيصيح برنسى :

« ان نفسى متألمة وقلبي مثقل بالهموم . يوجد ثقب فى السد فتتدفق مياهه وتغمرنى . لذلك يصرخ لسانى » واذ يستمر رنسى على عدم مبالاته وهو الرجل المشهور بعدله المعروف بحسن معاملته للناس يزداد حنق الفلاح وغضبه حيث يبدو له صمت الامين مما يستفز الجماد ويحرك الحجر وينطق الاخرس فيصخب ويصيح وتتدفق الكلمات من فيه ثائرة مهتاجة « ليس من صامت ما كنت لتدفعه الى الكلام ، ولا من نائم ما كنت لتوقظه من رقاده ، ولا من بائس ما كنت لتثيره ولا يوجد فم ما كنت لتفتح مغاليقه . ولا من من جاهل ما كنت لتعلمه » ويطغى الألم والغضب على الفلاح فيندفع الى طلبته الثامنة ويستمر فى ثورته وتأنيبه ويصيح قائلا « ان قلبك بخيل ولا يليق بك . أنت تسرق وهذا مما لاينفعك ... ورجال الحكم الذين عينوا ليدفعوا الاذى عن الناس ليسو إذن سوى ملاذ للفوضى وملجأ لسوء النظام وهم الذين قاموا لدقع الظلم » ثم يتراخى الفلاح المسكين ويدع التأنيب جانبا . ويتوسل الى رنسى ويستثير فيه روح العدل بكلمات هى أدهش مافى هذه الصفة وهى « اعمل العدل من أجل إله العدل الذي عدالته هى عدالة حقة ـ أنت يامن هو القلم

والقرطاس ومسند القرطاس ـ أنت توت المبتعد بعيدا عن عمل الشر . وحين يكون البر برا حقا كان برا بمعنى الكلمة . لان البر (ماَت) يدوم الى الابد وينزل مع صانعه الى القبر حين يوضع فى الكفن ويهال عليه التراب « ولن يمحى اسمه من على الارض بل يظل الناس يذكرونه لبره ـ فهذا هو البر الذى لكلمة الله » ويتبع هذه الكلمات العجيبة العميقة الاثر السؤال عما اذا كان الظلم ممكنا بعد ذلك فيقول « هل الأمين هو ميزان (يد) لايحيد؟ هل هو ميزان من الموازين الكبيرة لايميل ؟ أم هل كل مافى الامر أنه لم يصل بعد الى حل عادل يصحح الخطأ المعيب الذى آلمه ؟ » ومع ذلك فالقاضى العدل الذى فى مقدوره اقامة العدل وإعادته الى نصابه كان مستمعاً لقصته منذ البداية ـ فهو لم يمرض ولم يهرب ولم يمت ولم يجب بكلمة على كل تلك الكلمات الحارة التى ألقيت على مسامعه والتى صدرت من فم رع نفسه . ثم ينهى الفلاح حديثه بقوله « قل الحق واعمل الحق * لانه عظيم ولانه قوى ولانه دائم . وجزاؤه سيجدك حيثما كنت وسيتبعك الى شيخوخة وفورة »

وعلى الرغم من هذه الكلمات النبيلة يصمت رنسى . فيعلو صوت الفلاح فى ألم يائس بطلبته التاسعة . ويذكر الرجل العظيم بخطر اصطحاب الغش وكيف أن الذى يتخذ الغش خدنا له وصديقا لن يخلف عقبا ولن يكون له من يرثه من بعده ، ولن تصل سفينة الكذب الى الميناء الأمين وأن الذين لايكترثون لغيرهم ولايعبأون بهم لن يكون لهم صيت ولن تبقى لهم ذكرى ، ولاصديق لمن يصم أذنيه عن نداء العدل ، وليس من فرح للبخيل... « فها أنا أستنجد بك وأنت لاتصغى وبسببك سأذهب وأقدم ندائى الى انوبيس » ويظهر من ذكر أنوبيس الذى هو إله الموتى أن الرجل يعنى أنه سينتحر . ويخرج الفلاح على أثر ذلك فيبعث رنسى بخدمه ليرجعوه . وتدور بين الفلاح والوزير الخطير كلمات غير واضحة الآن للاسف . وكان رنسى قد جعل واحدا من الكتبة يدوّن كلمات الفلاح كما طلب فرعون . الا أن الجزء الأخير منها أصابه التلف الكبير . بيد انه رغم ذلك يمكن ان يستخلص منها بان الملفات البردية التى أعدها رجال رنسى حملت الى فرعون الذى وُجد أن « قلبه قد سر بها اكثر مما سر من أى شىء آخر فى البلاد كلها » فيأمر رنسى بان يبتّ فى أمر الفلاح . وعندها يحضر أتباع رنسى ملفات الاحصاء التى تثبت أين بلدته الرسمية ومركزه القانونى والاجتماعى وعدد الساكنين فى منزله ومقدار ممتلكاته . وهنا توجد كلمات مبهمة بالغة يستنتج منها أن توتناخت عوقب وصودرت أملاكه وأعطيت للفلاح

---

* من المهم جدا أن نعرف أن الحق (ماَت) يعنى الحق والبر والعدل تبعا لسياق الحديث . ولكن لايمكن التفريق فى هذا المجال اذ يظهر أن المتكلم يعنى كل هذه المعانى مجتمعه .

وانه لمن المدهش حقا أن نجد الأشراف الذين من بلاط فرعون منذ أربعة آلاف سنة مهتمين بأمر الطبقة الفقيره الى درجة أن واحدا منهم يكلف نفسه مؤونة تأليف قصة كهذه القصة التى تبدو أنها ترمى الى بث دعاية عظيمة لاقامة العدل وللشفقة نحو الفقراء والبر بهم . ومثل هؤلاء الرجال لم يخرجوا عن كونهم رسلا للعدل الاجتماعى . وقد نجحوا فى جعل هذه القصة شائقة لطبقة الاشراف - وهى الطبقة التى كتبت القصة لها . وعلى الرغم من كونها مبهمة احيانا ومن لغتها المزخرفة وماتتضمنه من تشابيه جريئة تجعل جزءا كبيرا من فصاحة الفلاح غير واضح للقارىء الآن إلا أنها كانت للمصرى القديم مثلا من الأدب العالى . ومن الظاهر أيضا أن أسلوبها كان مناسبا كل المناسبة للعصر الذى كتبت فيه وان ما احتوته من دعاية لاذعة تتضح من حين الى آخر زادت فى قيمتها لدى المصريين الذين عرف عنهم الميل الى النكتة البارعة والفكاهة الطريفة

ايريس حبيب المصري





كتب الشهر الجديدة

اسماعيل المفترى عليه

تأليف بيير كرابيتت وترجمه فؤاد صروف صفحاته ٢٦٨ من القطع الكبير
قامت بنشره دار النشر الحديث

هذا الكتاب قد وضعه مؤلفه لتزكية اسماعيل وهى تزكية حقة . فان جميع الظروف قد تألبت على الافتراء على اسماعيل مع أنه هو الذي بعث الحضارة فى مصر وكافح لتعميم الآراء الحديثة . وصحيح انه أوقع مصر فى دين ثقيل كان سببا لنكبتها بالمراقبة الثنائية ثم بالتدخل البريطانى . ولكن ما قيل عنه من الاسراف والملذات كان افتراء لا أساس له . فانه افتتح امارته بمحاولتين شريفتين هما الغاء النخاسة والغاء الرقيق وانقاذ ما يمكن انقاذه من ورطة قناة السويس التى وقع فيها سلفه سعيد . ثم شرع بعد ذلك فى تمدين البلاد بنية خالصة

أما خراب مصر الذى انتهت اليه أمارته فيعزي إلى الماليين الذين خدعوه كما خدعوا ولا يزالون يخدعون لخولا أ كبر منه . فان أسرة روتشيلد التى اليها يعزى تأخرنا واستعبادنا المالى هى أيضا الأسرة التى كانت مدة الحرب الكبرى تقرض أموالها لألمانيا وبريطانيا على السواء لكى تحارب احداهما الأخرى ويقتل أبناؤها لكى تفوز هى بالربا

وعندنا الآن اثنان فى مصر قد افترى عليهما هما اسماعيل من ناحية وعرابى من ناحية أخرى . وهذا الكتاب يزكى اسماعيل التزكية الحقة فنرجو أن نجد الكتاب الآخر الذي يزكى عرابى . فان كليهما أودى ببلادنا ولكن كلا منهما كان حسن النية يريد لها الرقى . وقد أحبط الماليون خطط الأول وأحبط السياسيون خطط الثانى

وقد خدم القاضى كرابيت قراء مصر بهذا الكتاب المفيد كما خدمهم الأستاذ صروف بترجمته

شعراء مصر

تأليف عباس محمود العقاد صفحاته ٢٠٣ من القطع المتوسط
قام بنشره مكتبة النهضة المصرية بمصر

تناول المؤلف فى هذا الكتاب طائفة من الشعراء بالترجمة والنقد . وقد عالج فيه أشعار

حافظ ابراهيم واسماعيل صبرى ومحمد عبد المطلب وتوفيق البكري وعبد الله نديم وعلى الليثى ومحمد عثمان جلال . وهو معتدل فى أحكامه ولكنه يكتب أحيانا وكأنه يدافع عن قضية سياسية بلهجة المناقشة والتحامل مثال ذلك قوله فى كلامه عن محمد عثمان جلال :

« ولكن الاشتراكيين ما كانوا قط أهلا لفهم الفنون ولا أهلا لفهم الانسانية . انما يفهمون ان الاقتصاد هو مسخر الحياة ولا يفهمون ان الحياة مسخرة الاقتصاد والاقتصاديين »

فلعل المؤلف يجهل أن وليم موريس كان من أكبر دعاة الاشتراكية فى انجلترا وكان فى الوقت نفسه من أجل الشعراء . وكذلك كان روبرت بروك الذي قتل فى الحرب الكبرى . ولا ندرى لماذا يفسد النظر الاشتراكى نفس الشاعر ولا يفسدها النظر الامبراطورى الذي كان يتسم به كبلنج

والكتاب مع كل ذلك خلاصة مفيدة لنهضة الشعر فى مصر . وهى نهضة مقيدة بالقواعد والنزعات العربية التقليدية



مصر فى قيصرية الاسكندر المقدونى

تأليف اسماعيل مظهر صفحاته ١٢٨ من القطع الكبير

قام بنشره مكتبة النهضة المصرية بمصر

صفحات هذا الكتاب ١٢٨ منها ٤٩ المتن التاريخى ونحو ٧٨ صفحة أخرى لتعيين الأسماء والتعليقات . ولذلك فان المؤلف لا يمكن أن يكون قد قصد إلى أن يقدم لعامة القراء قصة مقروءة عن الاسكندر . ونحن نرى أن هذا التدقيق الذى أنفق فيه جهده فى تحرى صحة الأسماء كان عناء لا قيمة له . ولعل المؤلف اكتسب هذه العقلية من المجمع اللغوى

الوثبة الاولى

تأليف محمود تيمور صفحاته ١٨٩ من القطع المتوسط

أخرجته دار النشر الحديث

يحتوى هذا الكتاب اثنتى عشرة قصة صغيرة . وقد صدر بمقال « حاجتنا إلى الفن » وهو المقال الذى نشرته هذه المجلة فى عدد سابق

والمؤلف معروف عند قراء هذه المجلة بطريقته فى التحليل النفسى ومعالجته لشئون الفقراء

والمتواضعين . وهو يمسهم فى عطف بل حب . وقد استطاع بمجهوده الفردي أن يجعل الأقصوصة شيئا مألوفا فى الأدب العربى الحديث . وان كنا لاننكر مجهودات سائر كتـابنا . ولـكننا نميز محمود تيمور باخلاصه للقصة وعكوفه عليها وتوخيه معالجتها بحيث تتناول شئونا مختلفة من حياتنا ويحسن المؤلف لو تناول قصة كبيرة يحلل بها ناحية من نواحى الاجتماع المصرى الحاضر تحليلا وافيا لا تتسع له القصة الصغيرة

الزهاوي الشاعر

تأليف اسماعيل احمد ادهم صفحاته ٥٤ من القطع الـكبير
طبع بمطبعة التعاون بالاسكندرية

يرى القاريء فى هذا العدد من المجلة الجديدة مقالا لمؤلف هذا الـكتاب عن النهضه فى كل من تركيا ومصر . وقد لايوافقه البعض على كل ماجاء فيهـا ولـكن لايمكن الا الاعتراف بانه يعالج موضوعه فى احاطة عجيبة مع ذكاء عظيم . كما يجد القاريء له ايضا قطعة مختارة من هذا الـكتاب عن جميل صدقى الزهاوي الذى تـكرم باهدائه الينا نحن واسماعيل مظهر . ومؤلف هذا الـكتاب هو نفسه صاحب الـكتاب الذى دعا الازهر الى مصادرته لانه تناول الحديث النبوى على غير مايهوي الازهريون . كأن الثقافة يجب ان تنزل على المستوى الذهنى الازهرى ولا تتجاوزه

ونحن نقرأ مايكتبه اسماعيل احمد ادهم مع الاعجاب والاسف . نعجب بالنظرة الصائبة التى ينظر بها الى معنى الرقى الاجتماعى . وهى نظرة زعماء تركيا وأدبائهم . ونأسف لأنه ليس بين أدبائنا فى مصر من ينظر هذه النظرة . فان تركيا ادركت ان نجاتها متوقفة على التخلص من العقلية العربية سواء فى الادب أم الاجتماع بالرجوع الى نفسها واحياء عنصريتها التورانية والاندماج فى الاسرة الأوربية المتحضرة . أما نحن فما زلنا منغمسين فى الأدب العربى قد غمرتنا العقلية العربيـة فى كل شيء تقريبا . وأ كاد أكون الوحيد فى مصر فى الدعوة الى القومية الفرعونية والتخلص من العقلية العربية والاندماج فى الاسرة الاوربية المتحضرة . ولـكننى فرد بين رعاع وغوغاء يقرأون السخف فى كتب الأدب العربى القديم ويحسبون أنهم أدباء . ولو أننـا كنا ندرك مغزى النهضة الحديثة والتقدم البشرى فى القرن العشرين لـكافأنا اسماعيل احمد ادهم بأحسن مايكافأ به كاتب لـكى لاينقطع عن الـكتابة فى النصح لنا وتعيين الطرق للرقى

ولـكننا نجهل مغزى النهضة الحديثة . ولذلك نحن نصادر كتبه . ولذلك أيضا تتقدم تركيا وتتأخر مصر

مسألة السكان فى مصر

مؤلف بالانجليزية وضعه الدكتور وندل كليلاند. صفحاته ١٣٤ من القطع الكبير
ويطلب من الجامعة الامريكية بالقاهرة

مؤلف هذا الكتاب قضى نحو عشرين سنة في مصر . وهو أستاذ امريكى يختص فى الاجتماع والسيكلوجية . وهو يرى أن تزايد السكان فى مصر من العقد الاجتماعية التى يجب علينا أن نواجهها ونحاول حلها . لأن غلات الأرض لاتزيد بالمقدار الذى يزيده السكان . والكتاب تسعة فصول الفصل الاول يتناول تاريخ السكان الى سنة ١٨٨٢ . والثانى يبين المصادر التى اعتمد عليها فى دروسه والثالث يشرح الاتجاهات فى العلاقة بين السكان والغلات بين سنة ١٨٩٧ وسنة ١٩٢٧ . والرابع يبين مقدار المواليد . والخامس عن الوفيات . والسادس يبين المستوى الاقتصادى بين الفلاحين . والسابع يشرح الأحوال الصحية . والثامن يشرح زيادة السكان . والتاسع يبحث فى علاج هذه المسائل

ويرى المؤلف أن الزراعة مزحومة باكثر ممن تتحمل من الفلاحين . وأن ٩٥ فى المائة من السكان مرضى لهذا الزحام . وأن نظام الرى كما أنه زاد غلات القطن قد زاد ايضا الامراض . وهذا مع العلم بان الزيادة فى الغلات هى على كل حال دون الزيادة فى السكان . وينصح المؤلف بضبط التناسل مع زيادة الثروة باتخاذ الصناعات الآلية كمورد للرزق الى جنب الزراعة . وهذا هو ما طالما دعونا اليه

كتب أخرى

« طريق الشركة » كتاب بالانجليزية تأليف س. ا . موريسون صفحاته ٨٧ من القطع المتوسط وهو يبحث نشاط المرسلين الانجليز فى مصر وفلسطين أى نشاطهم الدينى والخيرى فى انشاء المستشفيات والمدارس وغير ذلك . وبه صور عدة

« المسيحى والمسلم » تأليف جبران مسوح فى ارجنتينا . رسالة صغيرة صفحاتها ٦٣ غاية المؤلف منها الا تتفق سوريا ولبنان دولة واحدة

« المعاهدة » النص الكامل باللغات الانجليزية والفرنسية والعربية للمعاهدة المصريه البريطانية صفحاتها ١٣٢ وبها خارطة تبين الشروط العسكرية . عنى بطبعها اسكندر خورى

« من أقلام الشباب الحجازى » مجموعة مقالات للكتاب الحجازيين فى ١٨١ صفحة وهى تبين نظرهم للادب الحديث . وممن نقلت مقالاتهم هاشم يوسف الهواوي . وعلى حسن قدعق . وعبدالله سليمان . ومحمد على قطب

فى الحياة والعمل

بقلم سلامه موسى

مستعمرات بريطانيا فى البحر المتوسط

المشهور ان أوربا تستعمر القارات الأخرى وأن الأمم الأوربية ليس لها مستعمرات فى القارة الاوربية . وهذا هو الواقع ولكن له شذوذاً . فان لكل من بريطانيا وايطاليا مستعمرات فى أوربا تبرز قيمتها هذه الأيام للتزاحم الجديد على السيطرة فى البحر المتوسط بين بريطانيا وايطاليا

فان لبريطانيا ثلاث مستعمرات فى البحر المتوسط هى جبل طارق وجزيرة مالطة وجزيرة قبرص . وجبل طارق أو — بكلمة أصح — صخرة طارق تقف عند باب البحر المتوسط من الجهة الغربية كما أن قناة السويس تفتح هذا البحر أو تغلقه أمام آسيا . وقد استولت بريطانيا على هذه الصخرة سنة ١٧٠٤ واحتلت من الأرض حولها ما تبلغ مساحته أقل من ميلين مربعين وجميع السكان مع الحامية البريطانية لا يزيدون على ٢١٠٠٠ وهؤلاء السكان من الاسبان والايطاليين . ويستطيع الانجليز أن يتحكموا فى الباب الغربى للبحر المتوسط ما دامت الدولة التى تحتل سبته على الشاطىء الافريقى غير قوية مثل اسبانيا . ولكن إذا احتلت هذه الميناء دوله قوية مثل ألمانيا فانها تستطيع أن تجعلها قاعدة لحركات أسطولها فتنقص عندئذ قيمة جبل طارق . ولذلك هجس الانجليز بوساوس كثيرة هذه الأشهر الماضية لاحتلال الالمان لسبته حين كانوا يرسلون منها الجنود المساعدين للوطنيين الاسبان الذين يقودهم فرانكو

والمستعمرة الثانية للبريطانيين هى جزيرة مالطة . وكانت ولا تزال قاعدة للأسطول الانجليزى ولكن الانجليز لم يثقوا بموقفهم هناك مدة النزاع بينهم وبين ايطاليا بشأن الحبشة كما يذكر القراء حين أرسلت طائفة من البوارج إلى الاسكندرية . وهذه الجزيرة تبلغ مساحتها ٩٥ ميلا مربعاً وسكانها نحو ربع مليون . وهذه الجزيرة تقع فى الطريق بين ايطاليا وطرابلس وسكانها يكثرون من الحركات الوطنية التى يراد منها الانضمام الى ايطاليا . وقد أوقف الدستور بسبب هذه الحركات سنة ١٩٣٣ والحاكم العام البريطانى هو الذى يتولى الحكم الآن . والسكان ايطاليون بدمائهم ولكن لغتهم خليط من العربية والايطالية وهى تكتب بالحروف اللاتينية . ووقوعها فى الطريق بين ايطاليا وطرابلس يجعلها مثاراً لا يهدأ للنزاع بين ايطاليا وبريطانيا

أما المستعمرة البريطانية الثالثة فهى قبرص التى تقع فى شرق البحر المتوسط على مسافة قصيرة من الشاطىء الأسيوى . وكانت هذه الجزيرة تتولى الحكم فيها جمهورية البندقية إلى سنة ١٥٧١

حين استخلصها الأتراك منها . ثم سلمها هؤلاء لبريطانيا سنة ١٨٧٨ أى بعد أن اشتري دزرائيلى رئيس الوزارة البريطانية أسهم قناة السويس لحكومته بثلاث سنوات . وبذلك يمكن أن نقول ان بريطانيا استولت على هذه الجزيرة لكى تحمى بها قناة السويس . بل نزيد على ذلك فنقول انه عقب توقيع المعاهدة بين مصر وبريطانيا أعلنت هذه بأنها ستحصن جزيرة قبرص حتى يمكن الأسطول البريطانى أن يكون فيها على قيد خطوات من قناة السويس . وسكان هذه الجزيرة ٣٥٠٠٠٠ منهم ٦٤٩٠٠ من الاتراك والباقى من اليونانيين

وبهذه المراكز الثلاثة جبل طارق ومالطة وقبرص كان البحر المتوسط بحيرة بريطانية الى وقت قريب . وكان طريقا مأمونا للهند . ولكنه ليس كذلك الآن . فان ايطاليا التى تستعمر جزراً أخرى فى هذا البحر قد أصبحت بطائراتها وغواصاتها تخيف بريطانيا أو على الاقل تقلقها . وخاصة لانها تملك جزيرة صغيرة تدعى « بانتيلاريا » نعتقد أنه سيكون لها شأن عظيم فى الصراع القائم بين بريطانيا وايطاليا . فان هذه الجزيرة الصغيرة تقع بين صقلية وتونس ويمكن ايطاليا أن تجعلها قاعدة للغواصات والطائرات لاقفال البحر المتوسط من وسطه

مستعمرات ايطاليا فى البحر المتوسط

أنبأتنا التلغرافات أن موسولينى قد سافر الى طرابلس . وقد فسر هذا السفر بأنه مظاهرة ايطالية ضد بريطانيا التى قررت أن تنفق ١٥٠٠٠٠٠ مليون جنيه فى السنوات الخمس القادمة على زيادة قواتها البحرية والجوية

والمسابقة تحتد بين بريطانيا وايطاليا وكل منهما تنظر الى البحر المتوسط وهل يكون بحيرة بريطانية أم بحيرة ايطالية ؟ فان الانجليز يعدونه الطريق الى الهند واستراليا ولا يطيقون أن تكون السيادة عليه لايطاليا دونهم . ولكن ايطاليا تعده بحيرتها وتسميه « البحر الرومى » وهى مع قلة مواردها تقتر على نفسها لكى تزيد عدد غواصاتها وطائراتها اعتقاداً بأنها سوف تصطدم بالاسطول البريطانى وسوف يكون هذا الاصطدام حاسما فى تاريخ ايطاليا

ولايطاليا ـ كما لبريطانيا ـ مستعمرات فى البحر المتوسط . أكبرها وأهمها من حيث المساحة هو جزر الدوديكانيز التى تقع فى جنوب بحر ايجه وهى تبلغ ١٤ جزيرة أكبرها جزيرة رودس . ويبلغ سكانها أى سكان الجزر جميعها ١٣٢٠٠٠ منهم ٨٣ فى المائة يونانيون وسائر السكان أتراك . وهذه الجزر المحصنة هى خطر كبير على الاتراك اذ ليس بينها وبين ساحل آسيا الصغرى سوي ساعات . كما أنها خطر يقلق بريطانيا فى مصر وفلسطين ويطل على قناة السويس . وقد استولت ايطاليا على هذه الجزر سنة ١٩١٢ حين كانت تحارب الاتراك عقب غارتها على طرابلس . وقد أيدت معاهدة لوزان سنة ١٩٢٤ امتلاك ايطاليا لهذه الجزر

وتستعمر ايطاليا جزيرة أخرى فى البحر الادرياتى تدعى ساسينو . وهى جزيرة البانية ليس لها غير القيمة الحربية أى انها تستطيع أن تكون ملجأ للطائرات ومخبأ للغواصات فى حرب قادمة

وبكلمة أخرى نقول ان لايطاليا خمس عشرة جزيرة تقع فى شرقها يسكنها يونانيون وأتراك وألبان . وايطاليا تستعمرها لان لها مقاصد حربية ضد بريطانيا . وأيضا ضد تركيا

ولكن أهم من هذه الجزر جميعها هذه الجزيرة الصغيرة الايطالية بانتيلاريا التى تقوم بين جزيرة صقلية وساحل تونس وهى تبعد عن صقلية بنحو ٣٥ ميلا وعن تونس بنحو ٥٥ ميلا . وقد جعلتها ايطالية محطة للطائرات ومخبأ للغواصات . والمتأمل لهذه الجزيرة الصغيرة لا يسعه الا القول بأنها تقفل الطريق فى وجه الاسطول البريطانى اذا كانت مزودة بالطائرات والغواصات ولا فائدة لبريطانيا من جبل طارق وقناة السويس اذا كان طريقها سيقفل عند بانتيلاريا فى وسط هذا البحر

ومن العبث أن يقال ان جنون الفاشيين فى ايطاليا سيقف عند حد القناعة بطرابلس . فان موسولينى الذى الف درامة عن نابليون وكتابا عن مكيافيلى ينظر الى السياسة العالمية والى معنى البطولة نظرا ينطبق على مبادىء القرون الوسطى أو على الاقل مبادىء القرن الثامن عشر

وهذه القوات التى يعبئها موسولينى فى البر والبحر والجو لا يمكن أن تكون بلا غرض . فان شباب ايطاليا بل كهولهم (الى سن ٥٥) معد للسلاح . وقواتها المادية تحت التعبئة ، وموسولينى يستجيب للحوادث استجابات عصبية فيها تفزز مخيف . فليس من البعيد أن يفتتح الفصل الثانى للامبراطورية الايطالية بالهجوم على مصر أو تونس أو تركيا . واذا ظن القارىء أن هذا الاحتمال بعيد لانه جنونى فان الرد على ذلك ان الحرب تقع على الرغم مما فيها من جنون

جميل صدقى الزهاوى

احتفل العراقيون بذكرى الزهاوى . وكان الاحتفال بذكراه فى بغداد كالاحتفال بذكرى حافظ فى القاهرة : قصائد كلها أكاذيب تلقى فى اطراء حياتهما وأشعارهما وأدبهما . وقد رأينا فى صدد هذه الذكرى أن نكتب هذه الكلمة لعل فيها الماعا الى حقيقة الزهاوى . فقد زارنا سنة ١٩٢٤ حين كان بالقاهرة فكتبنا كلمة ننقل منها مايلى بعد أن حذفنا ما لا يمكن نشره فما قلناه :

« ٢٧ سبتمبر سنة ١٩٢٤

« اليوم زارني بمنزلي جميل صدقي الزهاوي هو وزوجته وتغديا معنا بالمنزل . وكان به شلل خفيف في ساقه أو في ساقيه فاذا مشى تفاجّ في مشيته . وكانت ذراعه اليمنى تختلج أحيانا فيتألم منها . وعلى العموم يبدو من حركاته أنه متهدم وأنه لن يعيش كثيرا . وقد أسلمني هذا الكتاب وقال انه لا يأتمن أحدا في العالم غيري على طبعه ونشره . وشرط عليّ أن لا أذيعه الا بعد وفاته وقال انه لو قرأ أهل بغداد مافيه فانهم لاشك قاتلوه ، فهو لذلك يؤكد عليّ في ألا أنشره الا بعد أن أثق تمام الثقة أنه قد مات . وقد قبلت هذه الأمانة وشكرته على ثقته ودعوت له بالعمر الطويل .

وأخذنا بعد ذلك في الحديث فذكر شوقي وحافظ الشاعرين وأسف لأنه لم يزره أحد منهما وذكر بيتا من نظمه عن أشعارهما خلاصته أن معانيهما ميتة وألفاظهما أكفان هذه المعاني .

وهو على ضعفه ينشط ويخف ويسفر وجهه عند ما يأخذ في انتقاد الأديان وهو يشرح نظرية الدافعية التي يعارض بها نظرية نيوطن بحماسة تكاد تكون عنيفة . وذكر الأدب المصري فانتقد طول العبارة في الكتاب وميلهم الى اجادة الصياغة في الأداء . وقال عن المنفلوطي انه «لاشيء» . وذكر الرصافي فقال انه كافر ولكنه يداري . وذكر الالوسي فقال انه متعصب وكان معه عضواً في لجنة المعارف في بغداد فاشتجر الخلاف بينهما عن تعليم البنات حتى كاد أحدهما يمسك بخناق الآخر ، الزهاوي يرغب في تعليمهن والالوسي يرغب عنه ولكن الزهاوي فاز في النهاية . وهو يحب الاتراك ويعجب بهم وبخاصة للانقلاب الأخير والغائهم الخلافة من بلادهم وقال انه لو جاءت الخلافة الى مصر لصارت على المصريين نكبة كبيرة . وهو لم يعقب وقال انه لا يأسف على ذلك ولا زوجته أيضا وهي سيدة تركية قضى معها ٣٥ سنة نحيفة تتكلم العربية بتكلف ومكابدة . وكان أول سؤال سألته لزوجتي « هل لك أولاد » مما يدل على أنها تهتم اكثر من زوجها بمسألة النسل . وقد بدا من حديثهما أنهما يعيشان في رفاهية فانهما اشتريا مدة الحرب من السجاد ماقيمته الف جنيه اكتست به جدران منزلهما زيادة على أرضه . والزهاوي يكثر من التدخين ولكنه لا يحب القهوة »

* * *

والكتاب الذي ذكر هنا هو « نزغات ابليس » وهو مجموعة من الأشعار التي تتفق في الروح مع عمر الخيام ولكنها في أحيان كثيرة تزيد على الشك باعلان اليقين انكارا للعقائد الدينية . ولذلك لم نستطع نشر هذا الكتاب . ونحن ننقل هنا مايمكن نشره منه :

* * *

هل أنت الا واحد ... من القرود في النسب
ألم تكن وأنت في ... طور الجنين ذا ذنب
مشابها جنين حيو ... ان لو استطاع وثب

ألم يغط جسمك الشعر وبعده الزغب
انى من انكارك الأصل بقيت فى عجب

* * *

ما على كفرى عند خصومى سند
أنا مامحت لهم بالذى أعتقد

* * *

قالوا أتيت الكذب قلت بل الذى يصر على الأوهام للكذب أقرب
اذا كان من قد وافق الحق كاذبا فان الذى قد خالف الحق أكذب

* * *

قالوا اطردوا الزنديق من أوطانكم ماذا يخاف القوم من زنديق
قالوا اقتلوه انما هو مارق ماذا يضر المؤمنين مروق

* * *

أيها المؤمنون مالى أراكم قد حنقتم وارين ورى الزناد
قد رأيتم رأيا رأيت سواه فكأنا كنا من الاضداد
اختلفنا كل اختلاف فما ان يتساوى اعتقادكم واعتقادى
أيها القوم ان علمى بما ارتبتم به فى الرسوخ كالاطواد
أى شىء يضركم من حيادى فاتركونى فيما أرى وحيادي
انما ترتقي الشعوب بعلم تقتنيه بالدرس لا باضطهاد
أيها العلم يا مناي فداء لك مالى من طارف وتلاد

* * *

ترى هل اذا متنا تظل نفوسنا تعيش بهذا الجو أم نحن كالعشب
نحس بنور الشمس حينا وبعده نحور حطاما لا نحس الى الترب

* * *

الدين ليس يحتاج الى حجج اذا تمكن فى قلب بتلقين
وليس يرتضيا فى دينه جدلا الا الذي هو فى شك من الدين

* * *

هذا بعض ما اخترناه من «النزغات» ولكنا لانستطيع أن نقول ان هذا الذى اخترناه هو مثال فيها لأننا تعمدنا اختيار مايمكن نشره فقط . وفى « النزغات» كثير مما لا تجيز قوانيننا نشره

رضا بهلوى

احتفل الايرانيون أمس أول بعيد ميلاد ملكهم هذا الرجل العظيم رضا بهلوى . وهم بلا شك فرحون بهذا الاحتفال الذى يعبرون فيه عن عواطف صادقة عواطف الحب والولاء لملك مستنير قد أدرك قيمة الحضارة الحديثة ودفع بلاده فى طريقها

وحسب القارىء أن يقابل بين الحال الاجتماعية التى نعيش فيها أو التى تحاول بعض الهيئات أن تدفعنا اليها مع الحال الاجتماعية التى يحققها هذا الملك العظيم لبلاده . ففى الوقت الذي يطلب فيه الازهريون الفصل فى التعليم بين الجنسين فى الجامعة المصرية يقرر الشاه العقوبة على كل إمرأة تسير فى الشارع غير سافرة . بل هذه العقوبة تنزل أيضا بالعامل والفلاح إذا لم يتخذوا البنطلون بدلا من الجلباب الشرقى الفضفاض الذى كانت إيران تتخذه حين كانت لاتزال تعد نفسها أمة شرقية

لقد حتم الشاه على أبناء بلاده رجالا ونساء اتخاذ الملابس الأوربية حتى ولو كانوا فلاحين يعيشون فى الريف وراء المحراث. فالقبعة هى الآن العمرة المألوفة الاجباريه للنساء والرجال فى طهران بل لقد بالغ الشاه فى هذا الاتجاه نحو أوربا فالغى اسم «فارس» وسمى بلاده «ايران» وهى لفظة تتصل بالأصل «الآرى» لكى يثبت للعالم تنصله من الشرق وأن أمته غربية الاصل كما هى فى الواقع

فنحن فى مصر نفخر باننا شرقيون وعندنا حركات توصف بانها نهضات يرادمنها تأكيد الحجاب للمرأة وفصل الجنسين فى حين يتنصل الشاه من الشرق ويسمى بلاده باسم يدل على أصلها الغربى ويعمم الملابس الاوربيه فى المدينة والقرية

وقد كانت تتولى الحكم فى ايران قبل نحو عشرين سنة أسرة أجنبيه . وكانت تساعد الايرانيين على النوم فى ظل التقاليد الشرقيه . فكانوا يعيشون فى فقر يمارسون الزراعه البدائيه لايعرفون غير الصناعات اليدويه الصغيرة . وكانت روسيا وبريطانيا تتسابقان الى التسلط عليها . ورأى رضا بهلوى وهو ايرانى، صميم هذه الحال الوضيعه لأمته فثار على الشاه الاجنبى السابق وطرده . وتولى هو الحكم . ثم اندفع ببلاده نحو النور — نور الحضارة العصريه

وقد اعتمد – كما فعل من قبل العظيم أتاتورك – على الجيش فاصلحه وقواه لكى يزيل مطامع روسيا وبريطانيا . ثم زاد قدرة البلاد الاقتصادية بدفعها فى غمار الصناعه الحديثة . ونحن الذين تعودنا رؤية السجاجيد «العجميه» مازلنا نجهل أنها تصنع الآن بالآلات الكبيرة وليس بالايدي. ومد شبكة من السكك الحديديه لنقل المحصولات . ومن عجائب القرن العشرين هذا الخط

الحديدى العظيم الذى يصل بين بحر قزوين فى الشمال والخليج الفارسى فى الجنوب . فإنه عمل عظيم لرجل عظيم . وهذا بالطبع الى انشاء الآلاف من المدارس والكليات والجامعات والمؤسسات الثقافية المختلفة

ورجل ايران الحديثة رجل عصرى بكل معنى الكلمة على الرغم من أنه يقتعد عرش الاكاسرة حتى أنه ليأخذ من الاراء الاشتراكية بالقدر الذى يجد فيه الفائدة لبلاده . ولذلك جعل التجارة الخارجية ـ صادرات وواردات ـ فى يد الدولة فى كثير من المحصولات والمصنوعات . فالحكومة الايرانية هى التى تصدر أو تورد الاشياء التاليه

الكبريت والسكر والاقمشة القطنية والحريرية وورق السجاير والحبوب ومستخرجات الاسماك والافيون والجلود والصوف والفواكه الجافة والسجاجيد والاتومبيلات

وأنشأت الحكومة الايرانية لهذه الاحتكارات شركات كبيرة برءوس أموال ضخمة . وهى شركات مساهمة ولكن تملك الحكومة فيها كل الاسهم : خمسة أسداس الاسهم لوزارة المالية والسدس الباقى للبنك الزراعى الحكومى . وتشرف على كل احتكار لجنة ادارية مستقلة مسئولة أمام وزارة المالية . وبذلك زادت موارد الدولة لان الربح الذى كان يجنيه الافراد من تجارة الصادرات والواردات قد أصبحت تجبيه الدولة وحدها

والقارىء المصرى يعرف ان مثل هذه التجارة فى قطر كايران كان فى أيدي الاجانب كما هو الشأن فى مصر الآن بل كما هو الشأن فى جميع الاقطار الشرقية النائمة

وهذا الرأس النير الذى يفكر فى احتكار التجارة الخارجية الايرانية لكى يستخلصها من أيدى الاجانب ويزيد بها موارد الدولة معاً هو نفسه الرأس الذى يدعو أبناء أمته لاتخاذ القبعة . رأس ناضج مثقف يعرف أن النزعة التى تدعو إلى القبعة هى نفسها التى تدعو الى سائر الآراء العصرية

فلتهنأ ايران بملكها العظيم رضا بهلوى

حافظ والشعر العربى

يحتاج الانسان إلى دماغ من حجر لكى يقرأ هذه القصائد المملة التى قيلت فى ذكرى حافظ ابراهيم . وهى نفسها البرهان على أن الشعر فى مصر لا يزال نظما يجري وراء العرف وعلى أنه بعيد عن الابتداع وحرية الذهن والعاطفة . وذلك ان شعراءنا لا يزالون فى الطور الأول من النهضة وهو العناية الكبيرة بقواعد القدماء وأساليبهم

وقد خرج النثر عن هذا الطور بعض الشيء ولكن الشعر لا يزال مقيداً بالقدماء واذا كان

بعض شعرائنا قد ترك الناقة والصحراء والحداء باللفظ فانه لم يترك هذه الأشياء بالروح

وهذا التقيد بالقدماء واضح فى حافظ كما هو واضح فى جميع شعرائنا المتوفين والأحياء من شوقى إلى الجارم . وقل أن يجد الانسان شاعراً متحرراً من هذه القيود مثل ناجى أو أبو شادي وهما مع ذلك ليسا مطلقى الحرية فان قيود التقاليد لا تزال تغلهما . وهذه القيود لا تقتصر على الألفاظ بل تتجاوزها إلى الخيال نفسه . فان شعراءنا أقرب إلى روح الدولة العباسية منهم إلى روح الدولة المصرية فى القرن العشرين . بل ظهر عندنا شعراء — مثل البهاء زهير — كانوا أقرب إلى الروح المصرى من شوقى والعقاد وناجى وحافظ والجارم . مع أن البهاء قد مضى عليه أكثر من الف سنة

ومن منا لا يقرأ زجلا يكتبه أحد العامة من الشعراء أو أحد شعراء العامة فلا يجد فيه من حرية العاطفة وروح الشعب أكثر مما يجد فى شعرائنا « الفطاحل » ؟ ولسنا مع ذلك لا ننكر قلة المعانى الرائعة واللفتات الفنية فى الزجل ونحن هنا لا نقابل بين الشعر والزجل من حيث الروعة بل من حيث الروح أو النزعة المصرية ومن حيث حرية العاطفة

وعقبة الشعر فى مصر هى هذه التقاليد التى نتبعها فى الأسلوب اللفظى والخيالى والمجازى فاننا نلتزم القدماء ونحترمهم كثيراً حتى يعودوا وقد اندغموا فى دمائنا ونسيج أذهاننا فنؤلف الشعر وكأننا نعيش فى بغداد أو حلب قبل الف سنة . والزجال — الجاهل — مطلق حر من هذه التقاليد ولذلك يتكلم بروح العامة التى يمثلها

وهذا الانطلاق أو هذه الحرية التى نجدها فى الزجالين نجد مثلها ولكن مع التأنق الفنى والخيال السامى عند السوريين أو اللبنانيين إذا كانوا يعيشون فى قطر ناء عنا مثل برازيل أو أرجنتينا أو الولايات المتحدة فان هؤلاء الشعراء هم الرومانتيون فى الحركة الأدبية فى العالم العربى الآن . أى أنهم هم المستقلون المبتكرون الذين يمثلون فى عصرنا شيلى وبيرون عند الانجليز . فهم مستقلون فى خيالهم لا يبالون قواعد القدماء فى أسلوب النظم أو حتى فى اختيار اللفظ أو ابتكار الخيال . ولهذا الاستقلال الذى نشأ من بعدهم عنا وقلة مبالاتهم لقواعدنا المحترمة قد أتوا بما يشبه الاعجاز إذا قابلناه بما ينظمه شعراؤنا من القصائد الموثقة التى تقرظ بأنها متينة اللفظ بارعة المعانى . فان هؤلاء الشعراء ابتعدوا عنا فى رقعة الأرض فكان ابتعادهم منا فى روح الشعر أكبر وأبعد لأنهم مستقلون ونحن مقلدون

وهؤلاء الرومانتيون من السوريين كثيرون أذكر منهم الياس قنصل ورشيدالخورى . وحسب القارىء أن ينظر فى هذه القصيدة الصغيرة الحلوة التى وضعها رشيد الخوري عن سوريا . فانها زجل يمثل روح الشعب ولكنه زجل كتب باللغة العربية وحوى خيالات سامية ناضجة قال :

رأيت النهر هداراً طليقـا وقد داس الشرائع والحقوقا
فكدت أضم للتيار نفسى كأنى قد لمحت به غريقا
لأن خيال من أهوى أمامى

رأيت النار مستعراً لظاها كنفسى حين جد بها جواها
فكدت إلى اللهيب أمد باعى لانقذ من سبى عقلى هواها
لان خيالها أبدا أمامى

رأيت نوادبا تذرى الجمانا وقد خضبت مدامعها البنانا
فلم أعجب لترجيع الثكالى ولم أحزن لانات الحزانى
لأن خيال والدتى أمامى

سمعت بنكبة البلجيك سمعاً وكيف غدت بها الاطفال صرعى
فلم أشفق على الابطال جبيا ولم أذرف على البلجيك دمعاً
لان خيال سوريا أمامى

وقد تنتقد هذه الابيات لخلوها من الاناقة اللفظية . ولكن يجب أن نذكر أن هؤلاء الشعراء الرومانتيين يحرثون أرضاً بكرا ويشقون طريقا جديدة فالمصاعب التى يصطدمون بها أكبر من المصاعب التى يلقاها شعراؤنا الذين يسيرون فى الطريق التى عبدها لهم ابن الرومى والمتنبي والطغرائى

وقد سار حافظ على هذه الطريق الممهدة ولم يخرج عن التقاليد ولا شذ عن القواعد العربية القديمة فى أسلوب اللفظ أو الخيال بل هو كان كذلك حتى فى النثر . وليس بيننا للاسف شاعر رومانتى يستطيع تحطيم الاغلال القديمة التى ترهق وتقيد الخيال وتحول دون الابتكار

وهذه الحركة الرومانتية التى فشت فى شعر السوريين فى القارة الامريكية قد فشت أيضا أو كادت عند بعض أدبائهم الذين مارسوا النثر مثل جبران خليل جبران . ونكاد نلمس هذه الحركة بحريتها واستقلالها عن القدماء فى توفيق الحكيم

سيرة المسيح فى اللغة العربية

فى اللغة العربية على ما أظن ترجمتان للسيد المسيح من قلمى أديبين أحدهما رينان الفرنسى والآخر بابينى الايطالى . وهذا بالطبع غير بضع ترجمات أخرى لرجال الدين عنيت جمعية نشر المعارف المسيحية بنشرها

وقد ظهر قبل أشهر جملة ترجمات موجزة ومسهبة لنبي الاسلام بأقلام أدباء معروفين . وقد كان لهذه الترجمات أحسن الوقع بين شباب مصر سواء منهم المسلم أم المسيحي . ونحب لو نجد حد المؤلفين — الاقباط ونعنى المدنيين لا الكنسيين — يقوم بتأليف كتاب حياة المسيح ينظر اليه النظرة المستقلة التى لا تتقيد بالقيود التى يعد رجل الدين نفسه مرتبطا بها من حيث مركزه الرسمى . فان مثل هذا الكتاب لا ينير شباب القبط وحدهم بل هو أيضا يكون بمثابة العرض التاريخى لحياة المسيح يدرسه الشاب المسلم كما يدرس أية شخصية تاريخية أخرى . فان القبطى الذى يقرأ كتاب الدكتور هيكل بك عن حياة محمد يسر بهذا العرض التاريخى النزيه ويزداد حبا لشخصية نبي الاسلام إذ هو لا يجد فى الكتاب ما يجرح عواطفه العقيدية

وهذا هو ما نحب أن نراه أيضا من أديب قبطى يتناول حياة المسيح لكى يخرج منها بقصة انسانية رائعة يرضاها القبطى والمسلم على السواء . وقد قام مئات من المدنيين — أى غير الدينيين — فى أوربا وأمريكا بتأليف مثل هذه الكتب التى أنارت جمهور الشباب وزادت حبهم لشخصية المسيح

ومثل هذا الكتاب يجب أن يبدأ بوصف تاريخى وجغرافى واقتصادى لليهود مع وصف العلاقات السياسية بين « يهودية » وبين الرومان ومصر واغريقيا . ثم شرح واف للفرق الدينية والأحزاب السياسية حتى ينجلى للقارىء ذلك الوسط الذى نشأ فيه يسوع . وهو وسط كانت تلط فيه العواطف الوطنية المتأججة بالنزعات الدينية المختلفة . والأسانيد لهذه الشروح كثيرة الآن هى تعد بالمئات . فلن يعجز المؤلف عن شرحها للقارىء فى خمسة أو ستة فصول تعتبر فرشا للصورة أي صورة المسيح الذى نجد فى الأناجيل الأربعة جميع التفاصيل التى نستطيع الوصول اليها عن حياته . وهى حياة حافلة بالسمو والمجد . فاذا انتهينا من ذلك أمكن وصف الحركة المسيحية على أيدي الرسل وشرح الطرق التى انتشرت بها فى القرون الثلاثة أو الأربعة الأولى

وظنى أن مثل هذا الكتاب ينقسم ثلاثة أقسام تكاد تكون مستقلة

القسم الأول : ما سميناه فرش الصورة أي وصف الاختمار الذهنى اليهودي قبل ميلاد المسيح

القسم الثانى : هو حياة المسيح

القسم الثالث : هو وصف المسيحية الأولى واصطداماتها الكثيرة مع العقائد المحيطة فى أقطار البحر المتوسط

وكما قلنا ان مثل هذا الكتاب يجب أن يكتبه واحد من المدنيين وليس من الدينيين لأنه أمهر فى مخاطبة الشباب وأعرف بلغتهم وأقدر على فهم مشاكلهم

ولسنا ننكر هنا قيمة نظر الدينيين . فان رجل الأزهر الذى نشأ بين جدرانه يمكنه أن يؤلف

كتابا عن نبي الاسلام . ويكون للكتاب قيمته ولكن الشباب المصريين يميلون إلى أن يقرأوا كتابا عن محمد يؤلفه الدكتور هيكل أو طه حسين أو توفيق الحكيم أكثر مما يميلون الى قراءة كتاب يؤلفه أحد الأزهريين . وليس فى هذا ما يعيب الأزهريين

وكذلك الحال فى تاريخ المسيح ، فان الكاهن القبطي يمكنه أن يؤلف كتابا عن المسيح . ولكن جمهور الشباب يطلبون ترجمة « أدبية » ينظر فيها المؤلف إلى قيم أخرى غير القيم الاخلاقية التى ينظر اليها الدينيون

وبدهي أن هذه الترجمة الأدبية يجب أن تقوم على أساس الأناجيل ولكنها تكتب بأسلوب وعلى طريقة البحث الحديث الذى يستمرئه الشاب المصرى المتعلم مهما كان دينه. ومثل هذا الكتاب فضلا عما يجد من الارتياح عند القارىء القبطي سيكون بمثابة الوسيلة لتعريف المسلم أو اليهودي عن شخصية هذا الداعية العظيم للحب والسلام

ولست أنكر قيمة الترجمات التى وضعها رينان وبابيني ولودفيج ولكن كل واحد من هؤلاء نظر إلى المسيح بوجدان فرنسى أو ايطالى أو ألمانى . ولكنا نحن فى حاجة إلى أن ننظر اليه بوجدان مصرى وأن نبين قيمته فى مشاكلنا الحديثة عالمية ومصرية

الروح المدنى والروح الدينى

فى الشهر الماضى قامت جماعة من طلبة الحقوق تدعو الى تعليم الدين فى الجامعة والى الفصل بين تعليم الاناث وتعليم الذكور من الطلبة . وقد رحب بهذه الحركة العجيبة كل من وكيل وزارة المعارف العشماوى بك وعميد كلية الآداب السابق منصور فهمى بك وكذلك عدد كبير من رجال الازهر

وللمشتغل بالشئون السياسية أن يجد شبهة من المناوأة للحكومة الحاضرة فى هذه الحركة . فاننا قادمون على مؤتمر مونترو الذى سنطلب فيه الغاء الامتيازات . وبدهي أننا لن نحتج بحجة أقوى من اننا أمة متمدنة تعيش فى القرن العشرين وأننا نعرف مبادئه وأن لنا مؤسسات إدارية وثقافية وقضائية وبرلمانية لا تختلف مما يقابلها من المؤسسات الأوربية . فالقيام بهذه الحركة فى الوقت الحاضر يوهم — وإن خطأ — أن المقصود هو مناوأة الحكومة

ولكنا نحب أن نحسن الظن وأن نتوهم أن هذه الحركة بريئة من أى قصد خفى . وإذن نقول ان مقاله دعاة هذه الحركة من أن دين الدولة الرسمى هو الاسلام لا يعنى بتاتا أن نحيل الجامعة المصرية الى جامعة أزهرية . فان عندنا فى المعاهد الازهرية المختلفة من الطلبة ما يزيد عددهم خمسين ضعفا على

عدد الطلبة فى الجامعة المصرية . فمصر لاتشكو قلة فى تعليم الدين . ولكنها تشكو قلة — بل قلة ضارة — فى تعليم الطب والزراعة والصناعة وال ١٢٨ علم التى يتعلمها الأوربيون والتى نجحوا بها فى سيادة هذه الكرة الارضية . وهذه العلوم مع ذلك ليس لمعظمها أسماء فى اللغة العربية

ولسنا بذلك نستصغر شأن الدين أو قيمته فى الاخلاق . ولكن يجب ألا تفوتنا عبر التاريخ بل التاريخ الحديث جدا . فان الامم التى مزقتها الثورات العنيفة فى السنوات القريبة هى روسيا وتركيا وأسبانيا . وفى جميع هذه الأمم كانت الدولة دينية . وكان رجال الدين يسيطرون على شئون الدولة . فهل كسب الدين بهذه السيطرة ؟

الاجابة الواضحة على هذا السؤال هى النفى ، بل نزيد على النفى ونقول إن الثورة فى هذه الاقطار الثلاثة كانت على الدين خاصة كما كانت على سائر الانظمة عامة . بل تعزي الثورة الى هذه السيطرة بالذات . فان الروح المدنى الذي يبالغ اتاتورك فى تعميمه والالحاد الذى يسعى له زعماء روسيا وهدم الكنائس والديورة الذى جرى ومازال يجرى فى اسبانيا — كل ذلك ليس له من سبب سوى طغيان الروح الدينى على الحكومات الثلاث السابقة فى روسيا واسبانيا وتركيا . وكان يمكن الدين أن يعيش ويزكو لولا هذه السيطرة التى كانت تنتهى فى بعض الاحيان بما يقرب من الطغيان

ونحن فى مصر — كما يقول زكى أبو شادي — نحتاج الى تعميم الروح المدنى . ولا نحتاج الى هذا الروح المدنى للفائدة المرجوة منه فى الرقى العام فقط بل لخدمة الدين نفسه . فان الدين يفشو ويسود وتتقبله الضمائر والاذهان اذا كان متزها من السلطان الحكومى قد بعد رجاله البعد التام عن السياسة وما يلابسها أحيانا من مناورات ودسائس يحمل الدين تبعتها مع أنه برىء منها .

ولعل أكثر الامم تدينا هم هؤلاء الامريكيون الذين يملأون بلادنا بمبشريهم ولا يفتأون يبحثون الدين كأنهم على وشك الحساب فى يوم القيامة ومع ذلك ليس للدولة عندهم دين . والروح المدنى يعم جميع مؤسساتهم الحكومية . فهم امريكيون فقط أمام الدولة ولكنهم فيما بينهم وبين أنفسهم مسيحيون أو مسلمون أو بوذيون أو يهود أو بهائيون . بل هذا الدين الجديد ـ البهائية ـ لا يعرف معبداً له أكبر من المعبد البهائى الذى بنى فى الولايات المتحدة

فاذا شاء الغيورون على الدين أن يخدموا الدين فليبعدوه عن السياسة أو عن المناقشات التى تتصل بسياسة الدولة ومناورات الاحزاب . ولن نخدم الدين بان نجعله يغمر جميع المؤسسات الحكومية أو بان نجعل سلطان رجال الدين يزداد ويتفشى

فهرست

ص — مايو سنة ١٩٣٧

الاشتراك فى هذه المجلة

مصر والسودان سنة كاملة ٤٠ قرشاً وسنتين ٦٥ قرشاً و ٣ سنوات ٩٠ قرشاً

وخارج القطر (داخل الاتحاد البريدى) ١١ شلناً للسنة و ٢٠ شلناً لسنتين و ٣٠ شلناً لثلاث سنوات

ويجب إضافة ١٠ قروش (شلنين) فى السنة لكل مشترك خارج الاتحاد البريدى

١٢ شارع نوبار (مكتب بريد الدواوين) مصر